



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل: م أ ع / 114 / 2014

الموضوع

ثنائية التفاضل والتساؤم

في ديوان أغاني الحياة لأبي القاسم الشابي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر

الميدان: لغة وأدب عربي فرع: أدب عربي تخصص: أدب عربي حديث

إشراف الدكتور:

إعداد الطالبة:

- واسيني بن عبد الله

- حنان جريدة

تاريخ المناقشة: 10 ماي 2016

أمام لجنة المناقشة:

رئيسا

1- الدكتور شبلي خالد

مشرفا ومقررا

2- واسيني بن عبد الله

مناقشا

2- فتح الله بن عبد الله

السنة الجامعية: 1436-1437هـ / 2015-2016م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



إهداء

نشكر الله ونشكره أن وفقنا لأداء هذا العمل وما كنا
لنبلغه لولا فضله ، إلى خير الوجود عملاً بقوله ، خير خلق الله
سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

"من لا يشكر الناس لا يشكر الله"

إلى شمس نهاري وقمر ليلى رفيقة دربي أمي الحبيبة

التي لا تكف عن الدعاء لي بالتوفيق، والتي أعجز أن أوقمها ولو جزء من معروفها
وتضحياتها. إلى روح أبي الطاهرة تغمده الله برحمته، وحشره في زمرة النبيين والصالحين.

إلى من كانت أمي الثانية أختي الحبيبة لامية.

إلى زوجي الفاضل الصبور "برايح جمال الدين" الذي كان لي نعم العون

والسند. إلى حبيبي الأول جنيني في بطني حفظه الله لنا.

إلى أخواتي وأزواجهم وأولادهم كل باسمه،

وأخص بالذكر زوج أختي "حسيبة" دحماني الجمعي.

إلى إخوتي وزوجاتهم وأولادهم كل باسمه.

إلى عمي وعمتي، كل وعائلته، وكل باسمه،

وخاصة ابن عمتي حمريط عبد المالك وعائلته.

إلى عائلة زوجي الكريمة كل واسمه وأخص بالذكر سفيان ومروة.

إلى زميلتي في مشواري الدراسي زهوة ونبيلة.

إلى صديقتي في العمل خيرة دهيمي، سميرة ميمش، سامية مهية،

علجية ربيع، ونورة راجعي.

إلى كل من سقط من قلبي سهواً.

أهدي هذا العمل.

حنان

شكر وتقدير

قَالَ تَعَالَى:

﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ

وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾

سورة النمل: 19

بعون الله وتوفيقه، تم هذا العمل المبارك نتيجة الجهود

الموفورة، والتوجيهات المذخورة.

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا

إلى إنجاز هذا العمل.

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد

على إنجاز هذا العمل وفي تذليل ما واجهناه من صعوبات،

ونخص بالذكر الأستاذ المشرف الدكتور "واسيني بن عبد الله" الذي منحنا من

علمه القدير ووقته الثمين ما أعاننا على إتمام هذا البحث.

كما نتقدم بالشكر إلى مصطفى صاحب مكتبة القيروان الذي ساعدنا في

مراجع المذكرة وطباعتها.

حنان

مقدمتہ

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونهتدي بهداه، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن نهج نهجه أما بعد:

دواوين اشتهرت، وأسماء عمرت، وأصوات سمعت، وأخرى لم يكتب لها العمر لتعيش فترة أطول، لكنها تركت بصمات خالدة لم يتناساها الزمن، كما لم تتناساها الذاكرة. ومن بين هذه الأسماء التي لمعت في مدة قصيرة من الزمن "أبو القاسم الشابي"، هذا الشاعر الكبير الذي حلق في المدى الضيق من الزمن، الذي لم يتجاوز خمسة وعشرين سنة، أضاء في الآفاق الحالكة، بتعدد تجاربه، وتألق على مدى الزمن بتوزيع الدفء في القلوب، ونشر الأناشيد على دروب الوجود.

فهو شخصية لا تغنينا منها الوقفة العاجلة، بل شخصية يلزم العودة إليها مرة بعد أخرى لينتفع منها بزيادة جديد، وما أقل الأصوات التي تنطلق من الأعماق، كما ينطلق صوته الخافت الهامس في قصائد الحب، والعاصف الثائر في القصائد الوطنية، إنه صوت عميق، بقية من تلك القلة الخالدة من الشعراء، والفنانين الذين يغمسون أقلامهم في الدماء، ويرسمون بدم قلوبهم قبل أن يرسموا بالألوان، وتلك مزية لم تتلها إلا القلة التي اصطفها الله لإبداع رسالة الفن، ورد الناس إلى الحياة الفنية الرفيعة، التي تجد فيها الشخصية الإنسانية امتدادها.

وكان الشابي، الصوت الباكي الحزين، أحب الأصوات إلى القلوب، لأنه يحمل في حزنه وبؤسه صورة الحياة التي يحيها الناس، وعصر من ذوب قلبه قطرات الحسرة والأسى والألم، وأقبل على كتابة الشعر، وحقق عبره ما تعذر عليه تحقيقه في عالم الواقع، هذا الواقع الذي رآه الشابي، حياة مليئة بالأحزان والآهات.

فكان قلمه أدواته لصب قطرات دموعه، يسكبها حسرة على كيان مريض، وعلى روح أثقلتها المحن، وأفجعتها المصائب، وقضت فيها على منابع الحياة، وأغرق نفسه في بحر اليأس والتشاؤم وبث في شعره أنغام حزنه المرير، وصرخات قلبه العليل، ليكون كسفينة

مقدمة

تتقلب بين أمواج الحزن المرة، وأمواج نغمته على المجتمع، فكان شعره معرضاً حافلاً بالمعاني الثائرة على العيش في الظلام، كما كان مرآة تعكس مدى هشاشة إحساسه ورهافته.

وإعجابنا الشديد بالشعر عامة وشعر الشبابي المجموع في ديوانه " أغاني الحياة " خاصة، هذا الشاعر الذي أثبت عبقريته، وبرهن على موهبته وقدرته على الإبداع، جعلنا نختار هذا الموضوع. إضافة إلى محاولة للاطلاع والتعرف أكثر على موضوع التفاؤل والتشاؤم الذي تميز به الشاعر في شعره، كذلك من أجل إنصاف الشبابي وإعطائه المنزلة التي استحققتها بين كبار الشعراء.

فإلى أي مدى أثرت الظروف الشخصية وظروف المجتمع في شعر الشبابي؟ وكيف انعكس كل ذلك كمرآة بارزة في شعره؟

وقد لف الشبابي صمت لمدّة قصيرة، لكن سرعان ما تناولته الأفلام في المجالات والكتب الأدبية في أقطار المغرب العربي، ومن بين هذه الأعمال الأدبية نجد: أبو القاسم محمد كرو الذي أصدر كتابه: "الشبابي حياته وشعره" فأقبل عليه القراء بلهفة لتتوالى الدراسات والمؤلفات التي تناولت الشبابي أبرزها: محمد الحليوي في كتابه: "مع الشبابي" عمر فروخ: "شاعران معاصران"، زين العابدين السنوسي: "أبو القاسم الشبابي: حياته وأدبه"، طه عبد الباقي سرور: أبو القاسم الشبابي شاعر الحياة والحرية".

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه المنهج النفسي الذي يعمد إلى الغور في أعماق الظاهرة واكتشاف خباياها ثم تحليل عناصرها وفقاً لما يخدم طبيعة الموضوع. كما أدرجنا حياة الشاعر لقناعتنا أن النصوص مهما كانت لا يمكن عزلها عن حياة صاحبها ولا عن الظروف التي عاشها.



مقدمة

ومضينا في البحث الذي حتم مساره أن يكون في فصلين يسبقهما مقدمة ومدخل ويعقبهما خاتمة.

وقد جاء المدخل تحت عنوان: " الرومانسية في الأدب التونسي وأثرها عند الشابي" وندرج تحته ثلاثة مباحث؛ الأول الرومانسية وخصائصها، والثاني الأدب التونسي، والثالث الشابي وديوانه.

أما الفصول فقد اختص الفصل الأول بدراسة: " التناول والتشاور في الأدب العربي " فاحتاج إلى أن يكون في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول بعنوان: " مفهوم التناول والتشاور " سلطنا فيه الضوء على معاني التناول والتشاور المختلفة في المعنى اللغوي، والمعنى النفسي، والمعنى الفلسفي وأثر كل هذه المعاني في الأدب العربي.

المبحث الثاني بعنوان: " عوامل التناول والتشاور " ألقينا فيه الضوء على العوامل البيولوجية والبيئية؛ التي تؤثر في شخصية الفرد وتبين سماتها.

المبحث الثالث بعنوان: " مظاهر التناول والتشاور " ورصدنا فيه صفات الشخصيات التي تتصف بالتناول والتشاور مع ذكر بعض من النماذج الشعرية الخاصة بهم.

أما الفصل الثاني فقد انبسطت مباحثه لدراسة ديوان الشابي " أغاني الحياة " فتناول المبحث الأول، التناول في الديوان، حيث وقفنا فيه على القوائد الدالة على هذا التناول. وتناول المبحث الثاني، التشاور في الديوان إذ؛ وقفنا على القوائد التي تناولت هذا الغرض.

وانتهى البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا لهذا الموضوع.



مقدمة

ومن أهم المصادر والمراجع التي استندنا إليها في إنجاز هذا البحث نذكر: ديوان أغاني الحياة لأبي القاسم الشابي، التعريف بالأدب التونسي لرضوان إبراهيم، أبو القاسم الشابي كوكب السحر لعبد المجيد الحر، الشابي حياته-شعره لأبي القاسم محمد كرو وغيرها من المراجع التي سيأتي ذكرها في قائمة المراجع.

وكأي بحث لا بد من أن يواجه صعوبات وعثرات، فمن بين ما واجهنا من صعوبات، قلة المصادر وصعوبة تحليل النصوص الشعرية.

وفي الأخير لا نقول إننا قد بلغنا غاية الكمال في بحثنا، لأن الكمال لله ولكتابه، فرحم الله من وقف على سهونا أو وهما فأصلحه عاذراً لا عاذلاً، ومنيلاً لا نائلاً.

وأخيراً نشكر الله سبحانه وتعالى الذي أمدنا بالقوة والصبر ووفقنا لإنجاز هذا العمل، كما نريد أن نوجه شكرنا وامتناننا الخالص لأستاذنا الفاضل الدكتور: **واسيني بن عبد الله** لما قدمه لنا من إرشادات ومساعدات خلال بحثنا.



مدخل

الرومانسية في الأدب التونسي وأثرها عند الشبابي

المبحث الأول: الرومانسية وملامحها

المبحث الثاني: الأدب التونسي

المبحث الثالث: الشبابي وديوانه

تأثر الأدباء والشعراء التونسيين بالمدارس الغربية، وخاصة الرومانسية، وذلك بسبب احتكاكهم بالغرب لأن الظروف التي كان يعيشها المواطن العربي عامة وتونس خاصة كانت مناسبة لظهور هذه المدرسة التي كانت تعبر عن آمال الشعب وآلامه من خلال الخيال والعاطفة، وهذا ابن تونس الشبابي الذي عاش المعاناة بكل أنواعها -الوطنية والنفسية- تعلق بهذه المدرسة ومثلها خير تمثيل حتى عد رائدها الأول في تونس.

المبحث الأول: الرومانسية وملاحمها

إن الرومانسية نزعة إنسانية قبل أن تكون مذهب، وذلك لكونها تعبر عما يجب في خاطر الشاعر من آمال وآلام .

المطلب الأول: مفهومها

تتميز الرومانسية عن المذاهب الأدبية الأخرى كونها تعبر عن عاطفة الإنسان قبل كل شيء، وبهذا وجب أن يكون الأدب المعبر عنه حراً.¹ يتفق أغلب الدارسين على صعوبة تعريف الرومانسية²، ولعل هذه الصعوبة هي التي دفعت الشاعر "بول فاليري" إلى القول: " لا بد أن يكون المرء غير متزن العقل إذا حاول تعريف الرومانتيكية"³. لأن الرومانتيكية هي شعور ذاتي ينبع من اللاشعور، رغم ذلك سنحاول عرض بعض التعاريف والآراء الخاصة بها فيما يلي:

1. " يراد بالرومانسية بصفة عامة حالة نفسية أهم خصائصها زيادة الحساسية وعدم القناعة بما يمليه العقل والحكمة..."⁴؛ أي الدخول في عالم الخيال والأحلام.
2. مشتقة من كلمة "رومانس" التي أطلقت على اللغات والآداب التي تفرعت عن اللغات اللاتينية القديمة⁵.

1- الشعر العربي الحديث، محمد بنيس، ج2، ط1، دار توفيق للنشر، الدار البيضاء، 1990، ص26.

2- المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا، فليب فان تيغم، ط3، منشورات عويدات، بيروت، 1983، ص177.

3- الرومانتيكية، محمد غنيمي هلال، دار الثقافة، بيروت، 1973، ص05.

4- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهيب، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص189.

5- في تاريخ الأدب العربي الحديث، محمد أحمد ربيع، ط2، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 2006، ص92.

3. وأيضا مشتقة من كلمة "رومنس" والتي تعني الرواية في الفرنسية¹.

وعليه فالرومانسية؛ هي ثورة على العقل في مقابل الروح والإحساس والخيال والعاطفة.

المطلب الثاني: ملامحها

يُعدّ الشعر الرومانسي شعر ذاتي من أصدق ألوان الشعر²، الذي يعبر عن الحنين إلى الأوطان والكشف عن أحوال النفس، وهذا ما جعل للرومانسية عدة سمات وملامح استخلصها النقاد ومن جملتها ما يلي:

1. الإبداع والتحرر من القيود:

ترفض التيارات الرومانسية التقليد والتزام القيود، وتدعو إلى الإبداع والتحرر والحاجة إلى التجديد في القوالب الأدبية³، ولهذا تم رفض المفهوم القديم للشعر (الكلام الموزون المقفى)، ورأوا أن الشعر وجدان، وسَمُو التحرر من القافية (شعرا مرسلا)⁴. ورغم ذلك تحدثوا عن الشعر الحر داخل الأوزان، وأكدوا على وحدة القصيدة ورفضوا وحدة البيت.

2. العاطفة / الذاتية:

لقد ربط الإبداع بالذات المبدعة، لهذا ينطلق الشعر الرومانسي من الذات، ومن الشعور ومن القلب، فالشعر الذاتي من أصدق ألوان الشعر، كما أنه هو الذي يعبر عن الحنين إلى الوطن والكشف عن أحوال النفس، وفي هذا يقول عبد الرحمن شكري⁵:

يَا طَائِرَ الْفِرْدَوْسِ إِنَّ الشَّعْرَ وَجْدَانٌ

¹ - أعلام ورواد في الأدب العربي، كاظم حطييط، ج2، ط1، مكتبة الدار العربية للكتاب، 2003، ص251.

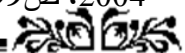
² - تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج2، ط1، دار المغرب الإسلامي، الجزائر، 1830-1954، ص289.

³ - ينظر: المذاهب الأدبية، محفوظ كحول، نوميديا للطباعة، المغرب، 2007، ص72 وأيضاً، في الأدب الحديث، عمر الدسوقي، ج2، دار الفكر، القاهرة، ص65.

⁴ - الأدب العربي الحديث، محمد عبد المنعم خفاجي، ج2، ط2، دار الجيل، بيروت، 1992، ص259.

⁵ - مسار الشعر العربي الحديث والمعاصر، عباس بن يحيى، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة،

2004، ص99.



فإبداع الشاعر يكمن في التعبير عما يجول في نفسه، فالعاطفة ميزة عامة يرتكز عليها الشعر الرومانسي، فالشعر يعبر عن الذات ويرسم ملامح الإحساس بالكآبة والحزن، ومن هنا غلبت روح التشاؤم على التيار الرومانسي حتى صارت تعد أحد أهم مميزاته.

3. الخيال الوهمي:

ينقسم الخيال إلى قسمين¹: قسم اتخذه الإنسان ليتفهم به مظاهر الكون وتعابير الحياة، وقسم اتخذ لإظهار ما في نفسه من معنى لا يفصح عنه الكلام المؤلف. يتفق كبار الرومانسيين على أن وظيفتهم هي أن يجدوا عن طريق الخيال نظاماً سامياً يفسر عالم الظواهر والقيم، لمجرد وجود الأشياء الظاهرة². فالخيال عندهم: هو المجال الرحب للإبداع، واللغة الوحيدة لنقل مشاعرهم القوية الدفينة في دواخلهم وما تحمله من تشاؤم وتفاؤل وبهذا يكون الخيال هو الوسيلة الوحيدة لإدراك الحقائق كما هي دون تزييف.

4. الطبيعة:

افتتن الرومانسيون بالطبيعة وتغنوا بجمالها، واعتبروها الملجأ الوحيد الذي يلجأ إليه الإنسان ليسترىح من عناء البشر وظلمهم، وأنها الأم الرؤوف التي تعاملنا بالصفح والتسامح³، فشعر الطبيعة هو الشعر الذي تلتحم فيه الطبيعة بالشاعر، وينتمي إليها بعواطفه يشكوها آلامه وأحزانه.

ومن أبرز الشعراء الذين لجئوا إلى الطبيعة نذكر الانجليزي "كوليردج" Coleridge الذي يقول: " إن لعالم السماوات تأثيرات عذبة، سأبني معبدي في الحقول، وسأجعل قبلتي السماء الزرقاء، وشذى الزهرة البرية البخور الذي أزجيه لك يا إلهي"⁴.

1- الخيال الشعري عند العرب، أبو القاسم الشابى، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، 2013، ص 19.

2- الشعر الحديث في المغرب العربي، يوسف ناوري، ج1، دار توبقال للنشر، المغرب، ص 188.

3- الدراما ومذاهب الأدب، فايز ترجيني، ط1، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، لبنان، 1988، ص 185-186

4- الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، أحمد عوين، ط1، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، 2001،

وإذا رحلنا إلى الشعراء العرب نجد الشاعر اللبناني، الذي يتحد مع الطبيعة ويخلع أحاسيسه عليها " إيليا أبو ماضي " في قصيدة "الطبيعة" التي يقول فيها¹:

وَرَوْضٌ إِذَا زُرْتَهُ كَنِيْبًا *** نَفْسٌ عَن قَلْبِكَ الْكُرْبَا

يُعِيدُ قَلْبَ الْخَلِيِّ مُغْرًا *** وَيُنْسِي الْعَاشِقُ الْحَبِيْبَا

وَكُلُّ مَعْنَى بِهِ جَمِيْلٌ *** يُعَلِّمُ الشَّاعِرَ النَّسِيْبَا

5. الحب والألم:

لقد أجمع الرومانسيون على تقديس الحب، فاعتبروه فضيلة من أفضل الفضائل، فالحب عندهم طيف هارب صعب المنال، ولا يمكن فهم الحياة إلا من خلاله، ومن هنا رأوا بتقديس المرأة واعتبروها ملاكاً نزل من السماء، وقد ارتقوا بها في بعض الأحيان إلى مرتبة الألوهية، فيقول عنها "بودلير" Baudelaire في "أزهار الشر": "إنها ملاك مندثر بالسعادة والفرحة والأضواء"².

وقدسوا الألم كذلك إلى درجة العبودية، فالألم عندهم هو الذي يعلم الإنسان ويعرفه على حقيقته، ويكشف له عالم الروح، فالإحساس بالألم هو السبيل لمعرفة الله، ووسيلة كذلك لمعرفة حكمة الحياة، كما أنه يؤدي إلى التفكير في الحياة والمحيط³.

1- ديوان إيليا أبو ماضي، تصدير: سامي الدهان، دار العودة، بيروت، ص183.

2- الأدب المقارن بين النظرية والتطبيق، ابراهيم عبد الرحمن، ط1، الشركة المصرية للنشر لونجمان، مصر، 2000، ص41.

3- الرومانسية بين الأدب الغربي والعربي، إيليا الحاوي، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1998، ص91.

المبحث الثاني: الأدب التونسي

إن الأدب التونسي عريق عراقة هذا البلد المغربي المقاوم، وشامخ شماخة رجاله الذين عرفوا به، وهذا ما سنعرفه من خلال المقتطف التالي:

المطلب الأول: أصوله

لقد كانت تونس منذ عشرات القرون موطناً للعديد من الحضارات، وتأتي في طليعة هذه الحضارات حضارة قرطاجنة التي دامت سبعة قرون كاملة، ثم حضارات أخرى أهمها الحضارة العربية التي بدأت في منتصف القرن الأول الهجري على "يد عقبة بن نافع". وكانت مركزاً للعلم والعلماء، حيث شيدت فيها أعظم الجامعات في العالم الإسلامي وهي الجامعة الزيتونية، إضافة إلى تأسيس أبناء تونس لجامعات علمية بأوروبا وهي: "جامعة بالرمو"، و "جامعة كاسينو"¹.

وتعود جذور النهضة الثقافية الحاضرة في تونس إلى الربع الأخير من القرن التاسع عشر إلى "الوزير خير الدين باشا" الذي قام بعدة إصلاحات مست جميع المستويات، إذ بدأت إصلاحاته بإنشاء المعاهد وإرسال البعثات العلمية إلى فرنسا وإيطاليا، وما قدمته هذه البعثات ما إن عادت إلى الوطن الأم².

لم يدم هذا العز والرقى طويلاً إذ أنه في عام 1881م نكبت البلاد التونسية كغيرها من بلاد المغرب العربي الكبير الجزائر ومراكش بالاستعمار الغربي الأوربي الغاشم، وقد حمل مشعل هذه النهضة نفر من الشباب المثقف الواعي الذي راح يستنهض همم الشعب ويوعيه بضرورة الثورة والحرية والحضارة. لكن هذه الطلائع الشبابية سرعان ما اصطدمت بقوى الصراع بين أنصار القديم وأنصار الجديد³.

1 - ينظر: الشبابي حياته . شعره، أبو القاسم محمد كرو، ط1، منشورات المكتبة العلمية،بيروت،1952، ص 15-17

2 - المرجع نفسه، ص19.

3- أعلام ورواد في الأدب العربي، كاظم حطييط، ص232.

لكن هذا لم ينل من أبناء هذا البلد المقاوم ويثيهم عن عزيمتهم فيما طمحوا إليه من حرية وتعريف بهذا البلد في الداخل والخارج.

المطلب الثاني: أعلامه.

للأدب التونسي الكثير من الرجال والأعلام الذين ناضلوا من أجل التعريف بهذا الإرث التراثي العريق وذلك من خلال انتاجهم الفكري المتميز حيث تميزت كتاباتهم بالحديث عن التحرر من العبودية والظلم الاجتماعي والقهر، ونذكر من بينهم:

1. **أبو القاسم محمد كرو**، هذه الشخصية العظيمة التي سطعت في سماء تونس والتي استطاعت بمجهوداتها الجبارة التقريب بين أدباء تونس والعالم العربي، فمنذ تخرجه من دار المعلمين العليا بالعراق، في أوائل الخمسينات من هذا القرن، عاد إلى تونس ليمارس هوايته كمؤلف أولاً، ثم ليصنع لهذه اليقظة الفكرية في تونس دعائمها الأساسية.

ألف أول بحث مكتمل عرفه العالم الغربي عن "الشباب...حياته وشعره"، ثم التعريف بتونس في كتابه "حصاد القلم" وعندما استقر في تونس أصدر العديد من الكتب في مجالات شتى، وأسهم بايجابية في تحرير الكثير من الصحف في مختلف البلاد العربية¹.

كما أصدر مجلة أدبية شهرية باسم "الثقافة"، وأخيراً أنشأ دار المغرب العربي للطباعة والنشر ليصدر من خلالها أكثر من ثلاث سلاسل من الكتب والكتيبات وقد حشد حول هذه السلاسل الكثير من الأقلام التونسية الكبيرة والشابة من أمثال: الكعكاك والحليوي والمرزوقي...، إضافة إلى الكتاب الشرقيين الذين استطاع أن يجذبهم إليه².

وأخيراً يمكننا القول يكفي أبو القاسم محمد كرو فخراً أن يكون داعية من دعاة الوحدة العربية، بادئاً من الجانب الثقافي العلمي الذي يجمع حوله الأقلام والكتب ولا يفرقها.

1- ينظر: التعريف بالأدب التونسي، رضوان إبراهيم، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1977، ص18.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص19.



2. محمد المرزوقي، ولد محمد المرزوقي في جنوبي تونس عام 1916م، تلقى تعليمه في الكتاب ثم في المدرسة الابتدائية بالزيتونة، ثم بالخلدونية، وبعد انتهائه من مرحلة التعليم الجامعية اشتغل بالصحافة وعمل بالإذاعة¹. وقد قام في عام 1967م بنشر كتاب ضخم في الفلوكلور التونسي بعنوان "الأدب الشعبي في تونس"². كما كتب في الأعمال النقدية الفلسفية، فقد أصدر عام 1935م كتابه الأول "آراء المعري وعقيدته"، وفي عام 1946م أصدر مجموعة أشعاره، وهي في معظمها ذات طابع رومانتيكي، وقد جعل عنوانها "دموع وعواطف"³.

وقد كان المرزوقي من كتاب القصة المشهورين حيث نشرت الكثير من قصصه في المجالات التونسية، وتعالج هذه القصص المشاكل الاجتماعية والأخلاقية التي يعاني منها المجتمع التونسي المعاصر نتيجة الاحتكاك الشرقي بالغرب.

¹ - التعريف بالأدب التونسي، رضوان إبراهيم، ص 76.

² - المرجع نفسه، ص 77.

³ - المرجع نفسه، ص 76.



المبحث الثالث: الشبابي وديوانه

يعد الشبابي من رواد المدرسة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، وقد جسدها خير تجسيد فهو صاحب النزعة التشاؤمية بدون منازع، وفي مقابل هذا هو مغني الطبيعة الأول وديوانه أغاني الحياة خير دليل على هذه النزعة التفاؤلية والتشاؤمية التي جاء ديوانه عامراً بها، هذا الديوان الذي طوى بين دفتيه آمال وآلام الشبابي.

المطلب الأول: ترجمة الشبابي

في فترة صعبة تميزت بالتأزم الاقتصادي العالمي، ومعاناة العالم العربي من المستعمر الغاشم عاش ذلك الشاعر التونسي، أبو القاسم بن محمد بن أبي القاسم بن إبراهيم الشبابي¹ الذي ولد سنة 1909م ببلدة "الشابية"². والده، الشيخ محمد الشبابي، تولى القضاء في أنحاء البلاد التونسية خارج العاصمة لفترة امتدت بين عامي 1910م و1929م. وكان من نتيجة ذلك أن الشاعر لم ينشأ بمسقط رأسه³.

تلقى بعض تعليمه الأول في منزله بإشراف والده، وبعضه الآخر في أحد الكتاتيب التقليدية، وعندما بلغ التاسعة من العمر كان قد حفظ القرآن الكريم. كما قرأ عدة كتب في الدين والتصوف والفلسفة من مكتبة والده⁴، وفي سنة 1921م تم التحاقه بالكلية الزيتونية. واستمر يدرس بها العلوم الدينية واللغوية حتى تخرج منها سنة 1928م نائلاً شهادة "التطويح"، وهي أرفع شهاداتها الممنوحة في ذلك الحين⁵، وبعدها التحق بكلية الحقوق التونسية، وقد كان تأثيره كبيراً بأدباء المهجر من أمثال: جبران خليل جبران...

1- أبو القاسم الشبابي كوكب السحر، عبد المجيد الحر، ط1، دار الكتب العربية، بيروت، 1995، ص62.

2 - إحدى ضواحي مدينة "توزر" كبرى بلاد "الجريد" بالجنوب التونسي

3- ديوان أبي القاسم الشبابي ورسائله، مجيد طراد، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994، ص9.

4- الإتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، سلمى الخضراء الجيوسي، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007، ص431.

5- أبو القاسم الشبابي شاعر الحياة والخلود، هاني الخير، ط1، دار فليبيس للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص8.

كان يجهل اللغات الأجنبية، إلا أنه قرأ أهم ما ترجم من كتب الآداب الغربية مثل: "لامارتين" و"جوته". كما كان يتابع قراءة جميع المجلات العربية الصادرة في ذلك الحين، كالهلال والمقتطف...¹.

وعلى إثر تخرجه من الزيتونة التحق بكلية الحقوق التونسية، فتخرج منها سنة 1930م وخلال دراسته بذل الشبابي نشاطاً أدبياً واجتماعياً كبيراً فقاد حركة طلاب الزيتونة، كما ساهم في تأسيس "النادي الأدبي" بتونس.²

تزوج الشبابي عام 1928م قبل أن يتخرج من كلية الحقوق³. وفي سنة 1929م نكب بوفاة والده المحبوب، فاضطلع بأعباء عائلة كبيرة واختار طريقاً وعراً، لم يلج باب كسب العيش من المناصب الحكومية ورضي بحياة بسيطة على رأس أسرته "بتوزر"، وفي السنة نفسها أصيب بداء تضخم القلب.

وفي أوائل شهر كانون الثاني سنة 1934م عاوده المرض بشكل أقوى من قبل فلزم فراشه. وحين أطل الربيع سافر إلى "الحامة" لتشخيص سبب دائه⁴. ثم غادر إلى العاصمة حيث دخل "مستشفى الطليان" في الثالث من تشرين الأول سنة 1934م قبل وفاته فيها في التاسع منه عند الساعة الرابعة صباحاً من نهار الاثنين⁵، ولمكانته الشهيرة الشهيرة احتفظت إدارة المستشفى ببطاقة دخوله التي سجل فيها: اسمه، ولقبه، وحالته، وتاريخ دخوله المستشفى، ونوع مرضه وتاريخ وفاته⁶. ونقل جثمانه في أصيل ذلك اليوم إلى توزر ودفن فيها.

1- الشبابي حياته . شعره، أبو القاسم محمد كرو، ص 27.

2- المرجع نفسه، ص 27.

3- ديوان أبو القاسم الشبابي ورسائله، مجيد طراد، ص 11.10.

4- أبو القاسم الشبابي كوكب السحر، عبد المجيد الحر، ص 75.74.

5- ديوان ابي القاسم الشبابي ورسائله، مجيد طراد، ص 15.

6- النزعة الإنسانية في الشعر بين أبو القاسم الشبابي وغازي القصيبي "دراسة فنية نقدية موازنة"، هيفاء بنت رشيد عطا

عطا الله الجهني، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، 1427هـ-2006م، ص 58.

على الرغم من أنه لم يكن قد بلغ عند موته السادسة والعشرين عاماً، إلا أنه قد تسنى له بجهده العلمي، وذكائه، وإرادته على التحصيل منذ نعومة أظافره، أن يغني المكتبة العربية بمؤلفات يمكن تلخيصها بما يلي:

1. أغاني الحياة: وهو مجموع شعره.
2. الخيال الشعري عند العرب: وهي محاضرة ألقاها الشاعر وطبعها بتونس سنة 1929م ثم أعيد طبعها في تونس سنة 1961م.
3. مذكرات الشابي: وهي يوميات كتبها لمدة شهر ونيف سنة 1930م ونشرت بتونس سنة 1966م.
4. رسائل الشابي: وهي مجموعة من الرسائل بعث بها إلى صديقه محمد الحليوي... وله رسائل أخرى مع أصدقاء آخرين من تونس وسوريا ومصر وتضم هذه المجموعة (34) رسالة للشابي و(40) رسالة للحليوي و(20) رسالة لصديقهما محمد البشروس. ونشرت الرسائل بتقديم أبي القاسم محمد كرو _ طبع تونس 1960¹.

وإذا جئنا لنتحدث عن هذه المؤلفات وما طوته من مواضيع، نجد أن الشابي في شعره كان، يقدّس الحبّ، وكذلك يمجد الطبيعة، شأن الرومانسيين. وأكثر شعره يدور حول المحاور الثلاثة: الحب، والمرأة، والطبيعة. وقد مرّ شعره في ثلاثة أطوار:

1. الطور الأول: طور التشاؤم واليأس
2. الطور الثاني: طور التشاؤم المصحوب بالتساؤل والحيرة التي تسعى إلى اليقين.
3. الطور الثالث: يرتفع من التشاؤم إلى درجات الصفاء الروحي.²

1- أبو القاسم الشابي كوكب السحر، عبد المجيد الحر، ص75-76.

2- أبو القاسم الشابي شاعر الحياة والخلود، هاني الخير، ص16_17.

والشابي شاعر مجدّد من زعماء الشعر العربي الحديث، له في شعره أكثر من ناحية، فهو تارة فيلسوف ساخر، أخرى تائر جبّار، وأحياناً بائس مستسلم، عبر عن كل ذلك في شعره الذي حوته كتبه، وقد لقب بـ (فولتير العربي)¹.

المطلب الثاني: ديوانه

يعد ديوان "أغاني الحياة" مجموع شعر الشابي، حيث كان قد شرع في أثناء صيف 1934م في جمعه بنية طبعه في مصر، حيث تطوع الأستاذ أبو شادي للإشراف على طبعه، فاستنسخه الشابي بنفسه بحاماة الجريد، مستعيناً ببعض أدبائها، ولكن المنية باغتته وحالت دون ما نوى.²

وقد طبع لأول مرة في القاهرة سنة 1955م وقد أثبت فيه بعض القصائد وأسقط بعضها، لأنها في نظره قليلة الأهمية³. ثم بتونس سنة 1966م⁴. وطبعة أخرى جديدة بتونس سنة 1970م أضيف إليها ما عرف من شعر الشابي حتى الآن، ومن بينها ما أسقطه الشاعر نفسه، وهو إحدى عشر قصيدة⁵. وطبع أيضاً في بيروت سنة 1972م⁶. يُعدّ ديوان أبو القاسم الشابي حصيلة عشر سنوات من الإبداع داخل معاناة الألم المركب: ألم القلب المضخم بين أضلاع الشاعر المتيم، وألم القلب الموهج من فقدان الحبيبة، وأخيراً ألم الفراق المبكر بين الابن وأبيه⁷.

هذا الديوان يعتبر بصمة فخر تركها شاعر مبدع، عبقرى وفذ في عالم الكتابات والانتاجات الشعرية بالرغم من صغر سنه، والأوجاع الجسدية والروحية التي قاساها في حياته.

1- موسوعة شعراء العرب، محمد بوزواوي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 288.

2- أبو القاسم الشابي شاعر الحياة والخلود، هاني الخير، ص 10.

3- التعريف بالأدب التونسي، رضوان إبراهيم، ص 141.

4- أبو القاسم الشابي كوكب السحر، عبد المجيد الحر، ص 76.

5- التعريف بالأدب التونسي، رضوان إبراهيم، ص 142.

6- أبو القاسم الشابي كوكب السحر، عبد المجيد الحر، ص 76.

7- موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين، ج 1، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2001،

الفصل الأول

التفاؤل والتشاؤم في الأدب العربي

المبحث الأول: مفهوم التفاؤل والتشاؤم

المبحث الثاني: عوامل التفاؤل والتشاؤم

المبحث الثالث: مظاهر التفاؤل والتشاؤم

يؤثر التفاؤل والتشاؤم في تشكيل سلوك الفرد، وعلاقاته الاجتماعية وصحته النفسية والجسمية، فالمتفائل يتوقع الخير والسرور والنجاح، وينجح في تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي، وينظر إلى الحياة بمنظار ايجابي ويكون أكثر إشراقاً واستبشاراً بالمستقبل وبما حوله، ويتمتع بصحة نفسية وجسمية جيدة، بينما المتشائم يتوقع الشر واليأس والفشل وينظر إلى الحياة بمنظار سلبي.

المبحث الأول: مفهوم التفاؤل والتشاؤم

لمعني التفاؤل والتشاؤم صلة بعقائد شعبية تركت أثرها في الأدب، فالعرب كانوا يسمون مضان المهالك بأضدادها تفاؤلاً بالنجاة، فمثلاً يسمون المهلكة مفازة، أي مكاناً للفوز، كما أنهم مشهورين بتشاؤمهم بنعيب الغراب، فهو شؤم بالبين¹، ولحد اليوم هناك من يتشاءم بنعيبه.

المطلب الأول: التعريف اللغوي

إن أصل التفاؤل في العربية التيمن، وهو ضد الطيرة، وهي ما يتشاءم به، أي يتوقع به السوء، ولهذين المعنيين صلة شعبية بما كانوا يسمونه السوانح والبوارح. فأصل البرح الشر والبارح من الصيد ما مر من يمين الصائد لى يساره، وكانوا يتشاءمون به، وضده السوانح وهي من الصيد ما مرت من يسار الصائد إلى يمينه، وكانوا يتفاءلون بها².

1. التفاؤل

التفاؤل من الفأل: وهو قول أو فعل يستبشر به، وتسهل الهمزة فيقال: الفال، وتفاعل بالشيء: تيمن به.

نقل الأزهري في التهذيب قول "ابن السكيت" الفأل: أن يكون الرجل مريضاً فيسمع آخر يقول: يا سالم، أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول: يا واجد، فيقول: تفاعلت بكذا، ويتوجه له

¹ قضايا معاصرة في الأدب والنقد، محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت)، ص66.

² المرجع نفسه، ص66.

في ظنه كما سمع أنه سيبراً من مرضه، أو سيجد ضالته. ويقال: لا فال عليك: لا ضير عليك. ويستعمل في الخير والشر¹.

وفي سنن ابن ماجه ومسند الإمام أحمد ابن حنبل عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه الفأل الحسن ويكره الطيرة. وفي رواية: يحب الفأل الحسن².

2. التشاؤم

التشاؤم: من باب شأم، وشأم الرجل قومه أي جر عليهم الشؤم، والشأم: أرض، سُميت به لأنها من مشامة القبلة. وشأمت القوم: يسرتهم. والمشامة من الشؤم، ويقال: رجل مشؤوم، وقد شئِم. وشأم فلان أصحابه، إذا أصابهم شؤم من قبله. ويقال: طائر أشأم، وطير أشأم. والجميع: الأشائم.. ويقال: جرت لهم طير الأشائم، أي: جرت بالشؤم³. وفي هذا يقول زهير في تطير العرب تشاؤماً⁴:

فَتَنْتُجُ لَكُمْ غِلْمَانُ أَشَأْمُكُلْهُمُ *** كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضَعُ فَنَقْطَمُ.

وقال الله جل وعز في قصة ثمود وتشاؤمهم بنبيهم المبعوث إليهم، صالح عليه السلام: ﴿قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَيْرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾⁵ يقول جل ذكره: قالت ثمود لرسولها صالح (اطيرنا بك وبمن معك) أي: تشاءمنا بك وبمن معك من أتباعنا، وزجرنا الطير بأنا سيصيبنا بك وبهم المكاره والمصائب، فأجابهم

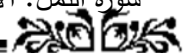
¹ - تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص1849.

² - أنظر: سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي/ مسند الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، 2001.

³ - العين، الخليل بن احمد الفراهيدي، تحقيق: مهديالمخزومي، إبراهيم السامرائي، ج6، سلسلة المعاجم والفهارس، باب الشين والميم (و ا ي ء) معهما ص295

⁴ - أساس البلاغة، الزمخشري، حققه وقدم له: شوقي الحصري، عزيز نعيم، ط1، مكتبة لبنان، ص857.

⁵ - سورة النمل: الآية 47.



صالح فقال لهم : (طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ)أي: ما زجرتم من الطير لما يصيبكم من المكاره عند الله علمه، لا يدري أيّ ذلك كائن، أما تظنون من المصائب أو المكاره، أم ما لا ترجونه من العافية والرجاء والمحاب؟¹ وقيل: للشؤم طائر وطيّر وطيرة، لأن العرب كان من شأنها عيافة الطير، وزجرها، والتطير ببارحها وبنعيق غربانها، وأخذها ذات اليسار إذا أثاروها فسموا الشؤم طيراً وطائراً وطيرةً لتشاؤمهم بها وبأفعالها فأعلم الله جل ثناؤه على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ان طيرتهم بها باطلة وقال: لا طيرة ولا هامة.

ونقل الأزهري في التهذيب قول الليث: "يقال طار الطائر يطير طيرانا، قال: والتطائر التفرق والذهاب، والطيّرة اسم من اطيرت وتطيرت، ومثل الطيرة الخيرة".²

التشاؤم هو النظرة السوداوية إلى الحياة، بحيث يصبح الفرد لا يستطيع الحياة ولا من فيها .

1- تفسير الطبري؛ جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ص123.

2- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصور، ص145.



المطلب الثاني: التعريف الفلسفي.

لقد كان للتفاؤل والتشاؤم بروزهما الواضح في الفلسفة العالمية، وكان عصر التنوير الأوربي أول عصر شهد اهتماماً كبيراً بهذين المفهومين -التشاؤم والتفاؤل- وهي تتعلق بنسب السعادة والشقاء في العالم.

1. التفاؤل

إن التفاؤل عند الفلاسفة يعني أن العالم يغلب فيه الخير على الشر والسعادة على الشقاء، وهذا ما سنوضحه من خلال النقاط الآتية:

أ- قديماً، مذهب ليبنتز **Leibniz** (1646-1716) القائل إن العالم الراهن هو أفضل وأسعد العوالم الممكنة. ومن ثم، يقال على كل رأي يرى أن العالم، في كليته وعلى الرغم من عالم الشر، هو عالم حسن، أفضل من العدم، وفيه السعادة تغلب التعاسة.

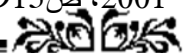
ب- التفاتة ذهنية تفضل النظر إلى الجانب الحسن من الأمور.

ج- موقف قوامه إغلاق العيون عمداً عن واقع شر ما، أو عن الشر عموماً، لإعفاء النفس من مكافحته.

د- حالة ذهنية لمن يتوقع أن يجري هذا الحدث كما يرام، أو ينجح هذا المشروع...¹

لتفسير التفاؤل فلسفياً من خلال ما ورد عرضه، يمكن القول بأنه الميل إلى الجانب المنير في كل الأمور، وأن هذا العالم الذي نحيا فيه هو أفضل من أي عالم آخر.

1- موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، تعريب: خليل أحمد خليل، المجلد الأول، ط2، منشورات عويدات، بيروت،



2. التشاؤم

جرى استعماله أولاً عند كوليردج بالمعنى الموضوعي: " الحالة الأسوأ "؛ ثم استعمل نحو العام 1715 في الصحف والمجلات الإنكليزية، بمعنى قريب من أنه استعداد ذهني لرؤية الجانب الأسوأ من الأمور. أوحالة ذهن يتوقع (إما عموماً وإما في حالة خاصة) أن تجري الأمور عما لا يُشتهى.

كما استعملت كلمة تشاؤم كاسم لمذهب سنة 1819 عند شوبنهاور Schopenhauer، ليجعل منها نقيضاً لكلمة التفاؤل التي كان يشار بها إلى مذهب ليبتز. وجاء تعريفها في مذاهب مختلفة كالتالي:

- أ. مذهب يقول إن الشر يتغلب على الخير، بحيث يكون العدم أفضل من الوجود.
- ب. مذهب يرى أن الألم في الحياة يذهب بالملذّة، أو حتى إنه هو وحده الحقيقة، إذ إنّ الملذّة ليست سوى التوقف الآنيّ للألم.
- ت. مذهب يذهب إلى أن الطبيعة لا تُبالي بالخير ولا بالشر الأخلاقي، ولا تكثرث لسعادة المخلوقات أو تعاستهم¹.

كل هذه المذاهب المذكورة تنظر إلى العالم نظرة تشاؤمية من خلال تفضيلهم للموت على الحياة، لأن هذه الحياة مليئة بالألم الذي يجعل كل فرد في منأى عن الآخر. وأن الألم هو الأصل واللذة عارضة.

1- موسوعة لاند الفلسفية، أندريه لاند، ص ص 967-968.

المطلب الثالث: التعريف النفسي.

إن اهتمام علماء النفس بالسمات الشخصية للفرد وعواملها ومظاهرها كان بشكل أكبر في العصر الحديث، وهذه الدراسات قامت بعد رؤية سلوكيات غير سوية لبعض الشخصيات، واستعدادات الأفراد لهذه الحياة وتقبلها بجميلها وسيئها، وهذا ما جعل علماء النفس يسيلون الحبر الكثير ويفردون كتب لهذا الموضوع، وهنا سنحاول التعرف على ما تناوله من خلال ما يلي:

1. التفاؤل

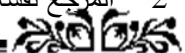
يعرف التفاؤل من منظور علم النفس بعدة تعريفات نذكر منها:

1- عرفه " شاير، كارفار" (Scheier & Carver, 1987) بأنه " استعداد يكمن داخل الفرد الواحد للتوقع العام لحدوث الأشياء الجيدة أو الإيجابية، أي توقع النتائج الإيجابية للأحداث القادمة. يعتقد كل من " شاير وكارفار " أن التفاؤل يحدد للناس الطريق لتحديد أهدافهم¹. وهذا يعني أن التفاؤل يتعلق بكل فرد ونظرته الايجابية للحياة واستعداده للعيش بسعادة.

وعرفه " تايجر" (Tiger, 1979) بأنه: " دافع بيولوجي يحافظ على بقاء الإنسان، ويعد الأساس الذي يمكّن الأفراد من وضع الأحداث والالتزامات". إنه: " الأفعال أو السلوكيات التي تجعل أفراد المجتمع يتغلبون على الصعوبات والمحن التي قد تواجههم في معيشتهم"². هذا يعني أن التفاؤل في نظر تايجر هو دافع طبيعي لكي يحافظ الانسان على حياة سعيدة هائلة.

1 - التفاؤل والتشاؤم المفهوم والقياس والمتعلقات، بدر محمد الأنصاري، ط1، لجنة التأليف والتعريب والنشر، الكويت، 1998، ص14.

2 - المرجع نفسه، ص14.



كما عرفه " كرانداال " (Crandall , 1969) بقوله: إن التفاؤل " عبارة عن التوقع قصير المدى بالنجاح في تحقيق بعض المطالب في المستقبل ". وعرفه " ستبيك " (Stipek, 1981) بأنه: " التوقعات الذاتية الإيجابية عن المستقبل الشخصي للأفراد".¹ ومنه التفاؤل هو " سمة شخصية في الفرد وتوقعه لحدوث الأحداث السعيدة، واستشرافها مستقبلا ".

2. التشاؤم

يحدث التشاؤم كما عرفه " شاورز " (Showers, 1992) عندما يقوم الفرد بتركيز انتباهه وحصص اهتماماته على الاحتمالات السلبية للأحداث القادمة، وتخيل الجانب السلبي في النص أو (السيناريو)، كما أن هذا التشاؤم أو التوقع السلبي للأحداث قد يحرك دوافع الأفراد أو أهدافهم وجهودهم لكي يمنعوا وقوعها، ويتسبب ذلك في التهيب والتأهب لمواجهة الأحداث السيئة المتوقعة.²

ويرى " مارشال " وأصحابه (Marshall, et la. 1992) أن التشاؤم " استعداد شخصي أو سمة كامنة داخل الفرد، تؤدي به إلى التوقع السلبي للأحداث. كما عرف التشاؤم أيضا بأنه: " نزعة لدى الأفراد للتوقع السلبي للأحداث المستقبلية"³ التشاؤم هو " هو النظرة السلبية والدونية للحياة وما فيها، وتوقع حدوث الأسوأ في كل الحالات سواء كان الحدث آني أو مستقبلي ".

¹ - التفاؤل والتشاؤم المفهوم والقياس والمتعلقات، بدر محمد الأنصاري ، ص15.

² - المرجع نفسه ، ص15.

³ - المرجع نفسه، ص16.

المبحث الثاني: عوامل التفاؤل والتشاؤم

موضوع التفاؤل والتشاؤم له علاقة بطبيعة كل مجتمع وبطبيعة عاداته وتقاليده وان التفاؤل له علاقة بالظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمع حيث تؤثر هذه الظروف على السمات الشخصية للفرد، والشخصية بصفة عامة هي: " مجموع سمات الفرد كما تبدوا في عاداته الفكرية، وتعبيراته، واتجاهاته، واهتماماته، وأسلوبه في العمل وفلسفته في الحياة "¹ وهناك مجموعة من العوامل الأولية والثانوية لها أثر كبير في التفاؤل والتشاؤم وهي كالآتي:

المطلب الأول: العوامل الأولية.

تتمثل العوامل الأولية في ما يلي:

1- الوراثة تنتقل إلى الفرد من والديه وأجداده عن طريق الموروثات والجينات، وتلعب الوراثة دوراً في تحديد الخصائص الجسمية للفرد، وفي تكوين الجهاز العصبي، والإنسان يرث الاستعدادات والخصائص الأولية للسلوك بشكل خاص.

2-العوامل الحيوية: التوازن في إفرازات الغدد التي تجعل الإنسان سليماً نشطاً وتؤدي اضطرابات الغدد إلى الاضطراب النفسي.

3-الجهاز العصبي: ويشرف على جميع الوظائف العضوية فإذا أصيب الجهاز العصبي بنتف يؤدي ذلك إلى اضطرابات ملحوظة في الشخصية.

4-البيئة: وهي عامل مهم المقصود به جميع العوامل الخارجية التي تؤثر في الشخص منذ بدء نموه، وتتأثر خبرات الطفل البيئية بعدة عوامل: الأسرة، الأخوة والثقافة².

حيث تعد الأسرة هي البيئة الأولى التي ترعى البذرة الإنسانية بعد الولادة ومنها يكتسب الطفل الكثير من الخبرات والمعلومات والسلوكيات والمهارات والقدرات التي تؤثر في نموه النفسي إيجاباً أو سلباً، وهي التي تشكل أخلاقه في مراحلها الأولى. كما أن لموقع الفرد في

¹ - المدخل إلى علم النفس، عبد الله عبد الحي موسى، ط3، حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف، 1988، ص348.

² - علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام، محمد محمود، دار الشروق، جدة، ص214.

الأسرة أهميته المؤثرة في تكوين الشخصية (الولد الأكبر - الولد الأصغر - الابن الوحيد بين البنات...) وكذلك أسلوب تربية الوالدين لها أثر كبير على شخصية الابن.

ومن بين الشخصيات الأدبية المشهورة التي تأثرت بهذه العوامل نجد الشاعر " جبران خليل جبران " هذا الشاعر الذي اكتوى بنار الألم والمعاناة من أقرب شخص إليه ألا وهو أبوه المتسلط الذي رأى فيه جبران كل معاني القسوة، لأن أبوه لم يفهم رغبته وميوله إلى الفن وتعلقه به لأن هذا الفن هو رفيق دربه وأنيسه في وحدته وحزنه، وهذا ما جعل شعره يحفل بالحزن والأسى حين يستحضر صورة أبيه، وقد عبر عن هذا في قصيدة " الجبار الرئبال " التي يقول فيها¹:

فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ يَمْشِي مُبْطِئاً *** وَهُوَ مِثْلُ اللَّيْلِ هَوَلاً قَدْ بَدَا
وَحَدَهُ يَمْشِي كَأَنَّ الْأَرْضَ لَمْ *** تَبْرِ إِلَّاهُ عَظِيماً سَيِّدا
وَيَدُوسُ التُّرَابَ مَرْفُوعاً كَمَا *** تَلْمَسُ الْأَطْلَالَ أَطْرَافُ السَّحَابِ
فَكَأَنَّ الْجَسْمَ فِي أَثْوَابِهِ *** مِنْ شِعَاعِ وَسَدِيمٍ وَضَبَابِ

في هذه الأبيات يرسم جبران صورة لأبيه، إذ؛ يرى بأنه يشبه هول الليل بجبروته وتسلطه وكأن الأرض لم تحمل غيره سيدياً عظيماً، ويشبه ملامسته للتراب كملامسة الجبال لأطراف السحاب وهذا كله دليل على قوته، وكأنه هو الأمر الناهي ولا أحد يعترضه، ومن خلال هذه الصورة غير السارة للأب نجد أن الصبغة التشاؤمية طافية على هذه الأبيات.

كما نجد الشاعر يستحضر صورة أبيه في قصيدة " أغنية الليل " التي يقول فيها²:

سَكَنَ اللَّيْلُ، وَفِي ثَوْبِ السُّكُونِ *** تَخْتَبِي الْأَحْلَامُ
وَسَعَى الْبَدْرُ، وَلِلْبَدْرِ عِيُونُ *** تَرَّصُدُ الْأَيَّامُ
فَتَعَالِي يَا ابْنَةَ الْحَقْلِ، نَزُورُ *** كَرَمَةَ الْعُشَاقِ
عَلْنَا نُطْفِي بِدِيَاكَ الْعَصِيرِ *** حُرْقَةَ الْأَشْوَاقِ

¹ - المجموعة الكاملة العربية، جبران خليل جبران، ط1، دار صادر، بيروت، 2002، ص360.

² - المرجع نفسه، ص358.



يتحدث الشاعر هنا في هذه الأبيات عن سكون الليل وكيف أن الأحلام تختبئ فيه، وكأنه يقول لنا أن أباه كان يشبه هذا الليل المعتم الذي تحتجب فيه الرؤية كما كان أبوه يلجم رغباته الفنية، فصورة الأب مقرونة دائماً عنده بالتشاؤم والحزن.

كما يظهر التشاؤم جلياً عند جبران فيما أصاب أسرته عندما كان في الغربية، إذ؛ قضى عليهم داء السل الواحد تلو الآخر، حيث تموت أخته بهذا الداء الخبيث، ويليهما أخوه ثم أمه بنفس الداء¹، هذا ما جعله يكره الحياة وينظر إليها بسوداوية لأنها غير عادلة وحرمته من أعز ما يملك، وقد عبر عن هذا الألم في قصيدة " يا نفس " التي يقول فيها²:

يَا نَفْسُ لَوْلَا مَطْمَعِي *** بِالْخُلْدِ مَا كُنْتُ أَعِي

لَحْنَا نَعْنَى الدُّهُورِ

بَلْ كُنْتُ أَنْمِي حَاضِرِي *** قَسْرًا فَيَعْدُو ظَاهِرِي

سِرًّا تَوَارِيهِ الْقُبُورِ

يَا نَفْسُ لَوْ لَمْ أَعْتَسِلُ *** بِالِدَمْعِ أَوْ لَمْ يَكْتَحِلْ

جَفْنِي بِأَشْبَاحِ السَّقَامِ

لَعَشْتُ أَعْمَى وَعَلَى *** بَصِيرَتِي ظَفْرًا، فَلَا

أَرَى سِوَى وَجْهِ الظَّلَامِ

يصور الشاعر نفسية حزينة أثقلتها السقام وتوالت عليها الأحزان، إذ ينادي نفسه قائلاً لها لولا طمعه بالخلود ما كان وعى ما تخبئ الدهور، وأنه لو لم تدمع عيناه بالدموع لعاش أعمى لا يرى سوى الظلام والأحزان، وهذا ما جعله يدرك أن لا خلود في هذه الدنيا.

كما نعلم أن الأبوين هما منبع الحنان والعطف والرحمة، لكن جبران لم يكن له هذا في أبيه المتسلط - كما ذكرنا فيما سبق-، ولكن أمه قد عوضته عما فقده في أبيه حتى

1 - روائع جبران خليل جبران، ثورت عكاشة، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1990، ص13.

2 - المجموعة الكاملة العربية، جبران خليل جبران، ص353.



صار جبران متعلقاً بأمه أشد تعلق، ولأنها فهمت طموحه وشجعته على المضي قدماً في
فنه، حتى صار يرى وجه أمه في كل شيء أمامه؛ في صديقاته، وفي الطبيعة حيث يرى أن
كل شيء في الطبيعة يتكلم عن الأمومة.

فجبران عندما يستحضر صورة أمه يكون فرحاً متأملاً في الحياة كل خير متفائلاً بها
وهذا ما يظهر من خلال قصيدته " أيتها الأرض " التي يقول فيها¹:

مَا أَجْمَلِكِ أَيُّهَا الْأَرْضُ وَمَا أَبْهَاكَ

وَمَا أَنْتَ إِمْتِنَائِكَ لِلنُّورِ وَأَنْبَلِ خُضُوعِكَ لِلشَّمْسِ

مَا أَطْرَفَكَ مُتَشِحَةً بِالظِّلِّ وَمَا أَمْلَحَ وَجْهَكَ مُقْتَعاً بِالذُّجَى

يشخص جبران صورة أمه إذ؛ يشبهها بالأرض لأن الأم مثل الأرض في العطاء
والحب، ويصفا بأجمل عبارات الوصف، حيث يصفها بالجمال والبهاء والنور والكمال
وملاحظة الوجه المقنع بالدجى.

هذه الصورة هي العامل النفسي التي أثرت في جبران والمتمثلة في صورة الأب والأم
والإخوة وما تركوه في نفسه من محبة وألم جعلته يبكي أو يضحك ويطرب للحياة أي يتفائل
أو يتشاءم.

¹ - المجموعة الكاملة العربية، جبران خليل جبران، ص 358.

المطلب الثاني: العوامل الثانوية وتتلخص في الآتي:

- 1- أثبتت الدراسات التي أجراها العالم " ويروس " أن الانفعالات الحادة تأخر سرعة نمو الأطفال وأن القلق النفسي والضعف الشديد للمرأة ومدة الحمل يؤثران في الطفل.
- 2- الأمراض التي تصيب الأطفال وتؤثر في نموهم الطبيعي، كذلك يتفاوت نمو الطفل تبعاً للسلالة القصرية التي ينتمي إليها الطفل.
- 3- الهواء النفسي وأشعة الشمس¹ التي تساعد في رسم السمات الشخصية للفرد وتبين تصوره لهذا الوجود.

يختلف الأفراد في ميزاتهم الشخصية من فرد لآخر، فهناك عصبي المزاج وهادؤه، والمتفائل والمتشائم، والمنطوي والمنبسط. ومن أقدم من حاول تقسيم الناس إلى أنماط الطبيب اليوناني "هيوقراط" Hippocrates، وله نظرية يقسم الناس فيها إلى أربعة أنماط، وهي:

- 1- المزاج السوداوي: وهو الشخص الذي يغلب عليه المزاج السوداوي الحزين المكتئب.
 - 2- المزاج الدموي: وهو الشخص السهل الاستثارة في غير عمق أو اتساع.
 - 3- المزاج الصفراوي: الشخص شديد الانفعال مع تغلب الجانب الجدي وقلة السرور.
 - 4- المزاج البلغمي: وهو المتبلد الشعور قليل الانفعال.²
- وقد اختلف علماء النفس في تقسيماتهم لهذه الأنماط أو الفئات فإنهم يتفقون جميعاً حول أمر واحد، وهو أن كل فرد يمكن أن ينتمي إلى فئة من الفئات التي يقترحونها.

يذهب تصنيف هيبوقراط إلى القول بأن النمط الصفراوي متشائم، والدموي متفائل. كما يذهب آيزنك Eysenck's إلى القول بأن النمط العصابي متشائم، والنمط الانبساطي متفائل.³

إن العوامل البيولوجية والبيئية والوراثية المحيطة بالإنسان كلها تعمل على التأثير في شخصيته، بحيث قد تكون هذه التأثيرات سلبية أو إيجابية متشائمة أو متفائلة.

1 - علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام، محمد محمود، ص216.

2 - المدخل إلى علم النفس، عبد الله عبد الحي موسى، ص ص268، 270.

3 - التفاؤل والتشاؤم المفهوم والقياس والمتعلقات، بدر محمد الأنصاري، ص20.



المبحث الثالث: مظاهر التفاؤل والتشاؤم في الأدب العربي

تميز شعراء العصر الحديث بخيال يرسم أحلاما مزهرة ملؤها السعادة، ولكنه يرسم في بعض الأحيان أحلاما سوداء تجعل صاحبها يخشى مصائب الحياة ويعيش في خوف منها حتى قبل وقوعها فعلا، كما أن العقل المتأمل الذي تميز به الشعراء ساهم هو الآخر في صبغ شعرهم بالتفاؤل أحيانا والتشاؤم أحيانا أخرى ذلك أنه كثيرا ما يصطدم بالواقع المرير، فينتج عن ذلك أحزان ومشاعر تتراوح بين السعادة والألم.

فالإحساس المرهف يرفع الشاعر أحيانا إلى قمة السعادة، أو يهوي به أحيانا إلى قمة الشقاء، لذلك جاء شعرهم أحيانا مغرقا في التفاؤل وأحيانا مغرقا في التشاؤم.



المطلب الأول: مظاهر التفاؤل.

إن الحياة قصة جميلة لمن يعرف كيف يعيشها، وينظر إليها نظرة رضا ويقف متأملاً
نعمها الكثيرة كالحب، والوطن، والجمال، والخير...

كل هذه الأمور تزرع البسمة في قلوب الناس عامة، فما بالك بقلب شاعر حسّاس،
كشاعر العصر الحديث الذي حاول بكل ما أوتي من قوة أن يتشرب ما في الحياة من سعادة
إلى آخر رمق، لذلك جاء شعر هذا العصر عنواناً للتفاؤل وهذا ما نلمسه من خلال قراءتنا
لدواوين شعر نازك الملائكة وإيليا أبو ماضي وغيرهم على النحو التالي:

1. نازك الملائكة:

صاحبة القلب الرقيق والمشاعر المرهفة التي ضلت تبحث عن السعادة والأمل طول
مشوار حياتها هذه السعادة التي يبدونها قد وجدتها أخيراً في الريف حيث تقول¹:

أَتَرَاهَا هُنَا؟ أَتِلْكَ إِذْنًا سُدَّ * * * زَارَهَا تَمَلُّ الْمَشَاعِرِ أَمْنَا؟
أَتَرَانَا إِذْ نُوَصِّلُنَا أَخِيرًا * * * ذَلِكَ الشَّاطِئُ الَّذِي نَتَمَنَّى
إِنَّهُ الرِّيفُ فَالْحَيَاةُ رِبْعٌ * * * خَضَلَ الْعِطْرُ بَارِدُ الْأَنْدَاءِ
وَالْمَرَاعِي النَّشْوَى تُرَاقِصُهَا الرِّيرُ * * * يَا حُوتِغْفُو عَلَى خُدُودِ الضِّيَاءِ
وَالصَّبَا حُلُوضِي قَدْ دَوَّبَا الْأَلَّ * * * وَإِنَّ وَالْعِطْرُ فِي كُؤُوسِ الْوُرُودِ
وَالفَرَاشَاتُ يُرَشِّقْنَ وَيَتَمَلَّنَّ * * * نَ مِنَ الْوَهْجِ الرَّحِيقِ الْبُرُودِ
وَفُرُوعِ النَّخِيلِ مَدَّتْ عَلَى مَجْدٍ * * * رَى السَّوَاكِي ظِلَّهَا السَّمْرَاءُ
سَكَبَتْ عِطْرُهَا وَخَدَرَتْ الْمَرَ * * * جَوَفَاتُضَتْ حُصُوبَةٌ وَتَمَاءُ
وَدِرَاعُ الضِّيَاءِ تَحْتَضِنُ الْأَشْـ * * * جَارَ وَالْوَادِي النَّضِيرِ الثَّرِيَا

1- ديوان نازك الملائكة، نازك الملائكة، دار العودة، بيروت، 1988، ص 432، 434.

وورودٌ بيضٌ تنامٌ على يدٍ ***
 بُوعٌ ماءٌ يسيلُ شهداً نقياً
 كلُّ شيءٍ في هذه الجنةِ العذِّ ***
 بةٍ يُوجي بِأنا قَدْ وصلنا
 أن ما في قلوبنا من هوى عطِّ ***
 شان قَدْ نال حُلمهُ المُنمِّي
 إن هذي ديارها، هي جنِّ ***
 ه حُلمي الخافي و سرُّ رحيلي
 هي ذاك اللغزُ المحيِّرُ شوقُ الـ ***
 أمسِ واليومِ و العذِّ المجهولِ
 فلنقمْ ها هنا عريشاً مانياً ***
 نا من الوردِ والشذى الروحي
 ولنذُقْ حكمةَ النخيلِ ونقبسِ ***
 بعضاً سرارُ صبرها الأبدِي

إن السعادة حسب نازك الملائكة لاتحسب بما يملك الإنسان من مال وقصور ومباني،
 إنما هي ببساطة تتجسد في جمال الريف الذي تكون صورة الحياة فيه ربيعا ورائحتها
 عطرا، وملمسهاندي، فسعادة نازك لاتكون إلا في المراعي؛ أين تراقص الرياح الورود
 وأوراق الأشجار، وتغرم الفراشات بالأزهار، فتترشف رحيقها في ولهان نازك الملائكة تشعر
 بسعادة ما بعدها سعادة عندما تجلس على الأرض في مكان ظللته فروع النخيل، على مجرى
 السواقي؛ حيث ترى الورود البيضاء تنام على ينبوع من الماء يسيل كأنه الشهد ففي هذا
 المكان تكون السعادة قد عرفت طريقها إلى قلب نازك الملائكة.

2. عبد الرحمان شكري:

هو واحد من الثلاثة" عباس محمود العقاد وعبد القادر المازني " الذين قاموا بتأسيس ما يعرف اليوم بجماعة الديوان التي وضعت حجر الأساس للنقد الشعري الحديث في مصر. والمتصفح لديوان شكري يجد بأنه كان يتجنب الانغماس في اطر الحياة الخارجية حيث وجه تركيزه إلى العنصر الذاتي، ف جاء شعره غنيا بالمشاعر والعواطف كعاطفة الأمل والسعادة التي نلمحها في قصيدة بعنوان " النغمات " التي يقول فيها:¹

إِذَا تَرَنَّمَ وَالْأَذَانَ ظَامِئَةً *** خَلْنَا الرَّوِيَّ عَلَى أَدَانِنَا اُنْدَقًا
لَجَّ مِنَ النِّغَمَاتِ الْغَرَّ يَحْمِلُهَا *** إِنَّ النُّفُوسَ تُعَانِي بَيْنَهَا الْغَرَقًا
لَوْ صُورَتْ فَأَقَامَتْ غَيْرَ خَافِيَةٍ *** كَأَنَّ جَلَّ الَّذِي يَسْتَبْعِدُ الْحَدَقًا
كَأَنَّ شَيْئًا مِنَ الْحُبِّ الَّذِي غُرِبَتْ *** بِهِ الْخَلِيقَةُ فِي أَثْنَائِهَا اُنْبِتًا
إِذَا ابْتَدَأَهَا عَظِيمَ فِي مَهَارَتِهِ *** حَسِبْتَ كَلْضَحِيحِ لَجَّ فِي الْخَرَسِ
تَظَلُّ تَفْعَالًا بِالْأَحْزَانِ مَا فَعَلَتْ *** أَشِعَّةُ الْقَمَرِ الْوَضَاحِ بِالْغَلَسِ
تَدُوبُ فِيهَا هُمُومُ النَّفْسِ خَافِيَةٍ *** كَمَا يَدُوبُ النَّدَى فِي مَوْجِ النَّفْسِ
يَنْزُروُ الْهَيْامَ بِقَلْبِي حِينَ سَمِعْتُهَا *** لِعَبِّ الرِّيحِ بِثُوبِ الْبَائِسِ النَّعَسِ
كَعَصْفِهَا حِينَ لَجَّتْ أَوْبَهَا *** كَلْجَةِ الْبَحْرِ تُطْفِي شُعْلَةَ الْقَبَسِ
تُثِيرُ مِنَ نَزَعَاتِ الْقَلْبِ مَرْحَمَةً *** تَرْدُ عَادِيَةَ الْمُسْتَأْسِدِ الشَّرْسِ
وَتَبْعُثُ الذِّكْرَ الْعَهْدِ الَّذِي ضَمَنْتِ *** فَتُودِعُ الْقَلْبَ وَجِدًا غَيْرَ مَلْتَبَسِ
كَأَنَّهَا ذَاتَ حَوْلٍ لَيْسَ يَعْجَزُهَا *** أَحْيَاءُ مُنْعَفِرٍ فِي الْقَبْرِ مُنْقَرِدِ
كَأَنَّهَا شَاعِرٌ جَادَتْ مُحِيلَتُهُ أَلْ *** غَرَاءُ بِالْكَلِمِ الْمَسْعُودِ بِالْسَدَدِ

¹-ديوان عبد الرحمان شكري، عبد الرحمان شكري، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2012، ص18-19.

لَا شَيْءَ مِنْ حُسْنِ اللَّحَانِ يُفْضِلُهَا *** إِلَّا الْخَرِيرَ وَ صَوْتِ الطَّائِرِ الْغَرْدِ
 وَأَنَّهُ النَّسْمَةُ الْمِعْطَارُ جَادِبَةٌ *** جَيْدُ الْعُصُونِ بِحَبْلِ لَيْسَ مِنْ مَسَدِ
 إن الشاعر لتغمره سعادة كبيرة عندما يسمع نغمات يؤديها عازف عظيم في مهارته
 خاصة وأن أذانه قد ملت ضجيج المدينة وفوضاها.
 هذه الموسيقى توقظ في نفس الشاعر الحب الذي أغرى البشرية، فيذيب هموم نفسه
 كما يذوب الندى عند شروق الشمس، ويلعب الهيام بقلبه كما تلعب الرياح بالثوب الرقيق وحينها
 تتكشف نزعات القلب حبا وشوقا ورحمة فيستحضر ذكريات الماضي الجميلة ويبنى آمالا
 مشرقة للغد الآتي.

3. إيليا أبو ماضي:

إيليا أبو ماضي زعيم المهجريين ير في الشباب ربيع العمر الذي يملأ القلب سعادةً
 وأملاً، بحيث يلمح صاحبه النور في الظلام واللذة في الألم والجمال تحت النقاب يقول أبو
 ماضي¹:

قُلْتُ: يَا سَاكِنَةَ الْعَاوِيَا بِنْتُ التُّرَابِ
 لَا تُلْجِي فِي اجْتِدَابِي، أَوْ فَلْجِي فِي اجْتِدَابِي
 إِنَّ عُرُودًا فِيهِ مَاءٌ لَيْسَ عُرُودًا لاحتطابِ
 أَنَا فِي فَجْرِ حَيَاتِي، أَنَا فِي شَرْخِ شَبَابِي
 الْهُوَى مِلءُ فُؤَادِي وَالصَّبِي مِلءُ إِهَابِي
 وَالْمُنَى تَنْبُؤِي دَرِي وَتَمْشِي فِي رِكَابِي
 أَنَا لَمْ أَضْجُرْ مِنَ الْعَيْشِ وَلَمْ أَمْلُ صَحَابِي
 لَمْ أَزَلْ أَلْمَحُ طِينَ الْمَجْدِ حَتَّى فِي السَّرَابِ
 لَمْ أَزَلْ اسْتَشْعِرُ اللَّذْمُحَتَّى فِي الْعَدَابِ

¹-ديوان إيليا أبو ماضي، إيليا أبو ماضي، ص 65.

لَمْ أَزَلْ أَسْتَشْرِفُ الْحُسْنَ وَلَوْ تَحْتِ نِقَابِ

إن الشباب يجعل الشاعر يحب الحياة ويحب الناس، إنه يشعر أنه جزء من الحياة إن لم يكن الحياة نفسها فهو شاب يملأ الصبا قلبه ويملاً الهوى فؤاده، إنه كالعود المليء بالماء لاشيء يمكن أن يكسره حيث يقول في قصيدة "ما أجمل الأحلام في أول العمر"¹

كَأَنِّي بَدْرٌ وَالزُّهُورُ كَوَاكِبٌ * * * وَذَا الرُّوضِ أَفُقُ ضَاءَ بِالْبَدْرِ وَالزَّهْرِ

كَأَنِّي وَقَدْ أَطْلَقْتُ نَفْسِي مِنَ الْعَنَا * * * مَلِيكَ لِي الْأَعْصَانُ كَالْعَسْكَرِ الْمَجْرِ

فَمَا أَسْعَدَ الْإِنْسَانَ فِي سَاعَةِ الْمُنَى * * * وَمَا أَجْمَلَ الْأَحْلَامَ فِي أَوَّلِ الْعُمْرِ

يشعر إيليا أبو ماضي في عصر الشباب، أنه مليك له السماء والبدر والزهر بل كأنه طائر حر طليق فما أسعد الشاعر في هذا العصر؛ العصر الذي تكون فيه الأحلام في أجمل حلة.

4. فوزي المعلوف:

واحد من شعراء المهجر الجنوبي، تميز شعره بالذاتية والخيال فجاء معبرا عن مشاعره وأحاسيسه فما هو ذا في قصيدته "هناك تحظى بمي" يعبر بصدق عن فرحته وسعادته بحبه لمي ورغبته في التواصل معها يقول: (2)

أَيَا هِزَارَ الْغَدِيرِ * * * حُبَيْتَ بَيْنَ الطُّيُورِ * * * مِنْ نَائِحِ مُسْتَتِيرِ

بِالنُّوجِ عَطْفَ الزُّهُورِ

حَيَّا إِلَاهَ صَبَاحِكَ

أَخَذْتَعْنِي نَوَاحِكَ * * * خُذْهُ وَهَاتِ جَنَاحَكَ

أَطْرُبُ بِهِ فِي الْأَثِيرِ

لَا غُلَّ قَيْدَ سَرَاحِكَ

1- ديوان إيليا أبو ماضي، إيليا أبو ماضي، ص 259.

2- ديوان فوزي المعلوف، فوزي المعلوف، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2013، ص 73.

أَطْرَبُ بِهِ فِي السَّدِيمَا فَوْقَ مَثْنِ النَّسِيمِ *** بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْغَيْومِ

أَصُوغُنْتُ النُّجُومَ

أَصُوغُدْمَعَ الْعَمَامَةَ

عَقْدًا أُجِيدُ نِظَامَهُ *** لَجِيدَ خَيْرِ حَمَامِهِ

تَحُورُ دُونِ الرِّيمِ

مِنَ الْبَيَانَ زِمَامَهُ

وَيَا هَوَا لُبْنَانَ *** يَا عَاطِرَ الْأَرْدَانَ *** أَوْحَالِي الْمَعَانِي

فِي أَجْمَلِ الْأَلْحَانِ

رَقِيقَةَ كَخَطُورِكَ

شَدِيدَةَ كَعَبِيرِكَ *** نَدِيَةَ كَزَفِيرِكَ

تَهْدِي شُعُورَ جَنَانِي

لِضَبِيئَةِ شُعُورِكَ

إن الشاعر في قمة السعادة والفرح، والسبب في ذلك حبه لمي وفي غمرة هذا الحب الجارف راح الشاعر يكلم هزار الغدير الذي اخذ من الشاعر طريقة غنائه؛ حيث أخبره أنه لا بأس بذلك لكن بشرط أن يمنحه جناحه؛ لكي يطير به في الأثير، فيصوغ من نثر النجوم ومن دموع الغمامة عقدا يليق بجيد حبيبته مي خير حمامة، ثم يخاطب هوا لبنان طالبا منه أن يوحى له بمعان بأجملا لألحان شذية كالعبير وندية كالزفير ليعبر بها عن مشاعره لمي.



المطلب الثاني: مظاهر التشاؤم

كثيرة هي المصائب التي تنغص حياة الإنسان وتثقل كاهله: الخيانة، والموت، والحرب... فتجعله يعيش في تعاسة وألم، وهذا ما ينطبق أيضا على شعراء العصر الحديث الذين صفتهم الحياة صفة موجعة وأفقدتهم الثقة بها، فعاشوا حياة ملؤها الحزن والأسى ولقد انعكست هذه المشاعر على شعرهم الذي اصطبغ بالصبغة التشاؤمية نذكر منهم:

1. نازك الملائكة:

قلبا الحساس وروحها الشفافة جعلتها تشعر بحزن وأسى ليس فقط لما يصيبها في حياتها الشخصية، وإنما لما يصيب البشرية من مصائب وأي مصيبة هي أعظم من الحرب، وأي حزن هو أعمق من الحزن الذي تثيره.

تقول في قصيدة بعنوان "الحرب العالمية الثانية"¹:

لَمْ يَكْدِ يَسْتَقِيقَ مِنْ حَرْبِهِ الْأُولَى *** وَيَهْنَأُ حَتَّى رَمَتْهُ الرِّزَايَا
رَحْمَةً يَا حَيَاةَ حَسْبُكَ مَا سَا *** لَ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ دِمَاءِ الضَّحَايَا
أُنْظِرِي الْآنَ هَلْ تَرِينَ سِوَى آ *** تَارَ دُنْيَا بِالْأَمْسِ كَانَتْ جَنَانَا
لَيْسَ مِنْ سِحْرِهَا سِوَى سُودًا حَجَا *** رَثِيئِرُ الدُّمُوعِ وَالْأَحْرَانَا
أَيْنَ نِعْمَاكَ يَا بَقَايَا الْقُصُورِ الْ *** بِيضَايِنَا الْأَزْهَارِ وَالْأَطْيَارِ
هَجَرَتِكَ الطُّيُورَ غَيْرَ غُرَابٍ *** وَجَفَاكَ الْأَرِيحُوجُ وَالْأَخْضِرَارِ
أَيْنَا هُلُوكَ؟ حَدِيثِي مَاذَا *** يَا رُكَامَا لِاتَّقَاضِ كَانَ الْمَصِيرِ؟
أَيْنَ يَحْيُونَ؟ وَآيَ كَهْفٍ مِنَ الْأَر *** ضِرْوَاهُمْ مَيَاهُ وَ الدِّيَجُورِ؟
أَيْنَا هُلُوكَ يَا قُصُورَاتُ حَتَّ النَّ *** لُجَامَ مَزَقَتْهُمُ الْقَائِقَاتِ

¹ ديوان نازك الملائكة، نازك الملائكة، ص ص 43، 44.

أَسْفَا ضَاقَتِ الْمَيَادِينَ بِالْقَتِّ *** لَى وَمَا عَادَ يَدْفِنُ الْأَمْـُواتِ

تعترى الشاعرة نازك الملائكة مشاعر الحزن والأسى بسبب حالة الناس الذين لم يكادوا يستفيقوا من الحرب العالمية الأولى حتى داهمتهم الحرب العالمية الثانية، وكأنالأرض قد أصيبت بلعنة الحياة التي أشربتها الدمع حتى الثمالة فلم يعد فيها سحر ولا جمال؛ لأن الطيور والعصافير هجرتها إلىالأبد، كما إنالأزهار والأشجار قد استحالت أحجارا سوداء تثير الدموع والأحزان.

2. عبد الرحمن شكري:

إن تعلق الشاعر بالشعر الرومانسي كان سببا من أسباب تشاؤمه؛ حيث راح يتقصى ويبحث في حقيقة الإنسان بين الخير والشرفكانت النتيجة يائسة من الحياة التي لم تتصف البشر خاصة اليتيم؛

يقول في إحدى قصائده¹:

يَتِيمٌ تَقَاضَاهُ الْهُمُومُ حَيَاتُهُ *** وَتَظْمِيهِ مِنْ طِيبِ الْحَيَاةِ حَطُوبٌ

وَمَا الْيَتِيمُ إِلَّا غُرْبَةٌ وَ مَهَانَةٌ *** وَأَيُّ قَرِيبٍ لِلْيَتِيمِ قَرِيبٌ

يَمُرُّ بِهِ الْعُلَمَانُ مَثْنَى وَ مُوحِداً *** وَكُلَّ امْرِئٍ يَلْقَى الْيَتِيمَ غَرِيباً

يَرَى كُأَمْبَابِنَهَا مُسْتَعْرِزَةً *** وَهَيْهَاتَانِ يَحْنُو عَلَيْهِ حَبِيبٌ

يُسَائِلُهُ الْعُلَمَانُ عَنْ شَأْنِ أَهْلِهِ *** فَيُخْزِنُهُنَّ لِأَنَّ يَجِيبُ مُجِيباً

إِذَا جَاءَهُ عِيدٌ مِنَ الْحَوْلِ عَادَةً *** مِنْ الْوَجْدِ دَمْعٌ هَاطِلٌ وَوَجِيبٌ

كَانَ سُرُورَ النَّاسِ بِالْعِيدِ قَسُوةً *** عَلَيْهِ تَرِيقُ الدَّمْعِ وَهُوَ صَبِيبٌ

يَظَلُّ حَسُوداً لِلَّذِينَ أَظْلَهُمْ *** مِنْ الْعَيْشِ فَيَنَانُ النَّعِيمِ رَطِيبٌ

¹ - ديوان عبد الرحمن شكري، عبد الرحمن شكري، ص 80.

وَمَا عِلْمُ الْغُلِّ الْفَتَى كَمْصِيْبَةٍ *** دَهْنُهُ فَلَمْ يَعْطِفْ عَلَيْهِ ضَرْبَ
فِيَا وَيْلَهُ قَدْ مَرَّقَ الْغُلُّ قَلْبَهُ *** وَأَنْشَبَ فِيهِ لِلسَّقَاءِ نُيُوبَ
عَزَاؤِكَ لَا يُلْمَلِمُ بِكَ الضِّمِيمَانِنَا *** يَتَّامَى وَلَكِنْ الشَّقَاءُ ضَرْوَبَ
فَهَذَا يَتِيْمٌ تَأْكِلُ صَفْوَ عَيْشِهِ *** وَذَلِكَ مِنْ الصَّحْبِ الْكِرَامِ سَلِيْبَ

في هذه القصيدة يصف لنا الشاعر الحالة المزرية لليتيم الذي تتقاذفه هموم الحياة التيأصبح غريبا فيها، ليس له قريب ولا حبيب، فبينما الناس مثنى وثلاث، اليتيم المسكين يشعر بوحدة قاتلة، وما يذكر هذا الشعور عنده هو رؤيته للأولاد الآخرين برفقة أمهاتهم اللواتي يحنون عليهم، أما هو فلا أم تحنو عليه ولا أب يسند ظهره عليه،

وبينما يقابل الناس العيد بالفرح والسرور يقابله اليتيم بدمع منسكب وبقلب حاسد للأطفال الذين يعيشون في كنف أسرهم بسعادة فيزيد بذلك لنفسه مصيبة أخرى هي الغل الذي يمزق قلبه وينشب فيه أنيابهمأساة هذا اليتيم أثرت على الشاعر أيما تأثير لذلك راح يواسيه بحقيقة أن كل الناس يتامى كل من ناحية معينة فقط اختلفت أنواع الشقاء التي يعانون منها.

3. إيليا أبو ماضي:

إن إيليا أبو ماضي لا يعلم ما يجيء به القدر غدا، ولأن من صفات القضاء حسبه العبث. لم يستطع أن يستمتع باللحظة التي يعيشها مهما كانت سعيدة بل كان يشعر بالأرق والخوف مما سيأتي به الغد المجهول. إذ؛ حتى بعد نهاية الحرب لم يستطع إيليا أن يستمتع بحياته؛ لم يستطع أن يستمتع بالصباح والأوراق والأشجار بل لقد ظلت الحرب تتراءى له في كل هذا حيث يقول¹:

رَأَلْتُ الْحَرْبُ وَوَلَّتْ إِيْمَا *** لَيْسَ لِلذَّعْرِ مِنْ الْحَرْبِ انْقِضَاءُ
إِنْ صَحَوْنَا فَأَحَادِيثُ الْوَعَى *** فِي الْجَمَى الْأَهْلِ وَالْأَرْضِ الْعَرَاءِ

¹ - ديوان إيليا أبو ماضي، إيليا أبو ماضي، ص 35، 36.

وَإِذَا نِمْنَا تَرَأَتْ فِي الْكُرَى *** صُورُ الْهَوْلِ وَأَشْبَاحُ الْفَنَاءِ
 فَهِيَ فِي الْأُزْاقِ حَبْرٌ هَائِجٌ *** وَعَلَى "الرَّادِيُو" فَحِيحُ الْكَهْرَبَاءِ
 تَنْقِي فِي يَوْمِنَا شَرُّ غَدٍ *** وَإِذَا الصُّبْحُ انْطَوَى خِفْنَا الْمَسَاءِ
 عَجَبًا وَالْحَرْبُ بَابٌ لِلرَّدَى *** وَطَرِيقٌ لِدَمَارٍ وَعَفَاءِ
 كَيْفَ يَهْوَاهَا بَنُو النَّاسِ فَهَلْ *** كَرِهُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الْبَقَاءِ
 إِنْ يَكُنْ عِلْمُ الْوَرَى يُشْفِيهِمْ *** يَا إِلَهِي رُدِّ لِلنَّاسِ الْغَبَاءِ
 وَلِيَجِيءِ طُوفَانُ نُوحٍ قَبْلَمَا *** تَغْرُقُ الْأَرْضُ بِطُوفَانِ الدَّمَاءِ

فايليا يعجب لهذا الإقبال الكبير على الحرب، ويتساءل عما إذا كان الناس قد كرهوا البقاء فإن كان الأمر كذلك فحبذا لو يجيء طوفان نوح ليغرق الناس بالماء قبل أن يغرقوا بالماء.

ترك إيليا أبو ماضي وطنه وهو صغير، لذلك ظل الشوق إليه يملأ قلبه، ويكابد جوانحه، ولأن إيليا شاعر حساس فقد كان شوقه إلى لبنان شعورا قاتلا يملأه الأسى والمرارة فما هو ذا يصف لنا الحالة النفسية المزرية التي كان عليها عندما حل يوم الرحيل؛ حيث يقول¹:

أَزِفَ الرَّحِيلُ وَحَانَ أَنْتَفَرَقًا
 فَأَلَى اللَّقَا يَا صَحْبِي إِلَى اللَّقَا
 إِنْ تَبَكِّيَا فَلَقَدْ بَكَيْتُ مِنَ الْأَسَى
 حَتَّى لَكِدْتُ بِأَدْمُعِي أَنْ أَعْرَقَا
 وَتَسَعَّرَتْ عِنْدَ الْوَدَاعِ عَاضَالِي
 نَارًا خَشِيتُ بَحْرَهَا أَنْ أَحْرَقَا
 مَا زِلْتُ أَحْشَى الْبَيْنَ قَبْلَ وَقُوعِهِ

¹-ديوان إيليا أبو ماضي، إيليا أبو ماضي، ص 337.

حَتَّى غَدَوْتُ وَلَيْسَ لِي أَنْ أَفْرَقَا
يَوْمَ النَّوَى، اللَّهُ مَا أَقْسَى النَّوَى
لَوْلَا النَّوَى مَا أَبْغَضْتُ نَفْسِي الْبَقَا

دموع تكاد تغرقه ونار تكاد تحرقه، هذا حاله حين حل وقت بعده عن لبنان فما بالك بحاله بعد أيام وشهور وسنين.

ربما نتساءل كيف لم يستطع كل هذا الشوق وكل هذا الحب أن يعيده إلى بلده؟ الإجابة ببساطة جدا وهي أنه لا يستطيع رؤيته على الحال الذي كان عليه، فاختر أن يرى قلبه يحترق على أن لا يرى لبنان يحترق أمامه؛ حيث يقول¹:

وَطَنًا زِدْنَا عَلَى حُبِّ الْعَلَا
فَأَبِي سِوَى أَنْ يَسْتَكِينَ إِلَى الشَّقَا
كَالْعَبْدِ يَخْشَى، بَعْدَمَا أَفْنَى الصَّبِي
يَلْهُو بِهِ سَادَاتُهُ، أَنْ يَعْتَقَا
أَوْ كُلَّمَا جَاءَ الزَّمَانُ بِمُصْلِحٍ
فِي أَهْلِهِ قَالُوا: طَعَى وَتَزَنَدَقَا
فَكَأَنَّمَا لَمْ يَكْفِهِمْ أَنْ أَخْفَقَا
هَذَا جَزَاءُ ذَوِي النَّهْيِ فِي أُمَّةٍ
أَخَذَ الْجُمُودُ عَلَى بَنِيهَا مَوْتَقَا
وَطَنٌ يَضِيقُ الْحُرْدَرَ عِنْدَهُ
وَتَرَاهُ بِالْأَحْرَارِ دَرَعًا أَضِيقَا

¹ - ديوان إيليا أبو ماضي، إيليا أبو ماضي، ص 340.

الجمود والتخلف وجور الحكام...هي مشاكل كان لبنان يتخبط فيها، فكان كلما ظهر بين الشعب إنسان حر مصلح اتهم بالطغيان والزندقة، لهذا عرف شاعرنا أن لا مكان له في هذا الوطن الذي أصبح يضيق ذرعا بالأحرار.

4. فوزي المعلوف:

تأثر فوزي المعلوف كثيرا بالذهب الرومانسي الذي يدعو إلى التأمل في أسرار الحياة والكون هذا التأمل الذي لا محالة سيجر صاحبه إلى تساؤل وحيرة قاتلة. وهذا ما نستشفه من خلال قراءتنا لقصيدة "الغز الوجود" التي يقول فيها¹:

بُرْغَمَ الزَّهْرِ مَا وَجَدْتُ لِتَبْقَى

بَلْ لِيَمْضِي بِكَ الْخَرِيفُ

هَذِهِ حَالُنَا خُلِقْنَا لِشَقَى

وَلِنَقْضِي بِنَا الْحَثُوفَ

كَيْفَ جِئْنَا الدُّنْيَا؟ وَمِنْ أَيْنَ جِئْنَا؟ *** وَاللَّيْ أَيْعَالَمَ سَوْفَ نَقْضِي؟

هَلْ حَيِينَا قَبْلَ الْوُجُودِ؟ وَهَلْ نُبْ *** عَثَ بَعْدَ الرِّدَى؟ وَفِي أَيِّ أَرْضٍ؟

هُوَ كَنَّهُ الْحَيَاةَ مَا زَالَ سِرًّا *** كُلَّ حُكْمٍ فِيهِ يُؤَلِّقُ النَّقْضَ

كَيْفَ أَجْلُو عَدِي؟ وَأَدْرِكُ أَمْسِي؟ *** وَأَنَا حِرْتُ كَيْفَ يَوْمِي سَيَمْضِي؟

يخاطب الشاعر في هذه القصيدة برعم الزهر ويخبره بكل أسف وحزن أنه لم يخلق ليبقى، وإنما خلق ليفنى حاله حال الشاعر البائس، الذي كان وما زال حائرا أمام هذا الوجود الذي لم يستطع أن يفهمه يوما، كيف جاء ومن أين جاء؟ وما هو المصير الذي سيمضي إليه؟ ثم لماذا يسأل عن الماضي البعيد والغد المجهول؟ أليس الأولى أن يسأل كيف سيمضي

¹ - ديوان فوزي المعلوف، فوزي المعلوف، ص 73.

اليوم الذي هو فيه؟ كل هذه الحيرة وهذا التساؤل جعلت الشاعر يعيش في دوامة حقيقية ملؤها الأسى والانكسار.

صور الشعر العربي الحديث حياة العربي في هذا العصر، فجاءت معالم هذه الصور معبرة عن تلك الحياة التي انطوت على مظاهر تفاؤلية ومظاهر تشاؤمية الحزن والحيرة.

كل هذه المشاعر ملأت قلوب شعراء هذا العصر وما شعر نازك الملائكة، وإيليا أبو ماضي، وعبد الرحمن شكري وفوزي المعلوف إلا دليل حي على ذلك.



الفصل الثاني

مظاهر التفاؤل والتشاؤم في ديوان

أغاني الحياة للشابي

المبحث الأول: مظاهر التفاؤل في الديوان

المبحث الثاني: مظاهر التشاؤم في الديوان

كانت الرومانسية الأم التي احتضنت الأمل والأمل، الذين نتج عنهما التفاؤل والتشاؤم، حيث يُعد هذين الأخيرين تفكير إنساني يعبر عن نظرة صاحبه إلى الحياة، وقد عبر الشعراء عن هذه الجوانب المعتمة والمنيرة في أروع القصائد التي جادت بها قرائحهم، ومن بين هؤلاء الشعراء الرومانسيين الذين أبدعوا في هذا الشاعر التونسي " أبو القاسم الشابي " الذي اكتوى بنار الأمل جراء ما عاناه في حياته من مآسي، إلا أنه رغم ذلك لم يفقد إرادته وحب الحياة وظل مكافحاً يغنى للجمال والحب...، وقد كان ديوانه " أغاني الحياة " خير مجسد لهذه النزعة حيث تظهر جلية من خلال قصائده كما يلي:

المبحث الأول: مظاهر التفاؤل في الديوان

غنى الشابي للحب والجمال والحرية والأمل...، لأنه يجيد التعبير عن الحياة الإنسانية بما فيها من فرح وسرور، فعبر عن آياتها الفاتنة وانجذب إليها وغناها بنشوة العاشق الولهان، فهو رغم هموم نفسه حياته وأحداثها وحزنه على وطنه ومصارعته للمرض إلا أنه كان متفائلاً يحب الحياة وإلهام الجمال فيها، لهذا تمنى أن يعيش عيشة هادئة من أجل الجمال والفن ليبدع في التعبير عن أشكال الحياة المشرقة، وقد تجسد هذا التعبير في الصور الآتية:

1- الحياة :

كان الشابي محبا للحياة وكل ما في الحياة بالرغم مما عاناه فيها، وهو يعترف بهذا في أكثر من قصيدة، ومن النماذج الشعرية التي تدل على ذلك ما يلي:

النموذج الأول: يقول في قصيدة " الاعتراف"¹:

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ بَعْدَ مَوْتِكَ يَا أَبِي *** -وَمَشَاعِرِي عَمِيَاءَ بِالْأَحْزَانِ-

¹أغاني الحياة، أبو القاسم الشابي، دار صالح تالنتيقت للتوزيع والنشر، بجاية، 2003، ص181.

أَنْنِي سَأْظَمًا لِلْحَيَاةِ، وَأَحْتَسِي *** مِنْ نَهْرِهَا الْمُتَوَهِّجِ النَّشْوَانِ
 وَأَعُودُ إِلَى الدُّنْيَا بِقَلْبٍ خَافِقٍ *** لِلْحُبِّ، وَالْأَفْرَاحِ، وَالْأَلْحَانِ
 وَلِكُلِّ مَا فِي الكَوْنِ مِنْ صُورِ المُنَى *** وَغَرَائِبِ، الْأَهْوَاءِ وَالْأَشْجَانِ
 حَتَّى تَحَرَّكَتِ السُّنُونُ، وَأَقْبَلَتْ *** فَتَنُ الحَيَاةِ بِسِحْرِهَا الْفَتَانِ
 فَإِذَا أَنَا مَا زِلْتُ طِفْلاً، مُوَلَعًا *** بِتَعَقُّبِ الْأَضْوَاءِ وَالْأَلْوَانِ
 وَإِذَا التَّشَاؤْمُ بِالحَيَاةِ وَرَفْضُهَا *** ضَرْبُ مِنَ الْبُهْتَانِ وَالْهَذْيَانِ
 إِنَّ ابْنَ آدَمَ فِي قَرَارَةِ نَفْسِهِ *** عَبْدُ الحَيَاةِ الصَّادِقِ الْإِيمَانِ

توحي أبيات الشاعر هذه بالأمل والتفاؤل والرغبة في الحياة بعد اليأس الذي أصابه بعد وفاة والده حيث يقول بأنه مستغرب من اشتياقه للحياة ومتعطش للاحتساء من نهرها السعيد، وعودته للعالم بقلب ينبض بالحب والفرح كقلب الطفل النشوان، ويرى بأن التشاؤم بالحياة ما هو إلا كذب لأن الإنسان ما هو إلا عبد للحياة وجمالها.

النموذج الثاني: وقال في قصيدة "جمال الحياة"¹:

سَرَّتْ فِي الرَّوْضِ *** وَقَدْ لَاحَتْ تَبَاشِيرَ الصَّبَاحِ
 وَجَنَاحُ الفَجْرِ يَوْمِي *** نَحْوَ رَيَاتِ الجَنَاحِ
 وَنَسِيمُ الصُّبْحِ يَسْرِي *** سَجَسَجًا، فَوْقَ البِطَاحِ
 وَخَرِيرُ النَّهْرِ سَكْرًا *** نْ، وَرَهْرُ الرَّوْضِ صَاحِ
 فَرَنْتُ نَحْوَ جَلَالِ الكَوْنِ، جَوْنَاءُ اللِّيَاحِ

¹ أغاني الحياة، أبو القاسم الشابي، ص 16.

ثُمَّ بَأَنْتُ فِي سَفُورٍ *** فَاضِحٍ أَيِّ إِفْتِضَاحٍ

فَاحْتَسَّتْ خَمْرَ نَدِي الدَّامِسِ، مِنْ كَأْسِ الأَقْوَاحِ

يظهر من هذا النص أن الشاعر متفاعل بالحياة وبجمال الحقائق وما يلوح عنها من تباشير للصباح ونسيمه العطر المنعش اللين الذي يسري فوق هذه الحقائق، وجمال النهر بخير مائه الذي يسري كالسكران في تموج، والزهر متفتح عبق، وشمس الصباح طلعت مفتوحة وأذابت الندى الذي يكلل تيجان الأزهار.

النموذج الثالث: ويقول في قصيدة " السعادة " داعيا الناس إلى التفاؤل بهذه الحياة¹:

خُذِ الحَيَاةَ كَمَا جَاءَتْكَ مُبْتَسِمًا *** فِي كَفِّهَا العَارِ، أَوْ فِي كَفِّهَا العَدَمِ

وَارْقُصْ عَلَى الوَرْدِ وَالأَشْوَالِكِ مُتَبَدِّدًا *** غَنَّتْ لَكَ الطَيْرُ، أَوْ غَنَّتْ لَكَ الرُّجْمُ

وَاعْمَلْ كَمَا تَأْمُرُ الدُّنْيَا بِلا مَضَضٍ *** وَالجَمَّ شُعُورِكَ فِيهَا، إِنَّهَا صَنَمٌ

فَمَنْ تَأَلَّمَ لَمْ تَرَ حَمَّ مَضَاضَتِهِ *** وَمَنْ تَجَلَّدَ لَمْ تَهْزَأْ بِهِ القَمَمُ

هَذِهِ سَعَادَةٌ دُنْيَاكَ، فَكُنْ رَجُلًا *** إِنْ شِئْتَهَا -أَبَدَ الأَبَادِ- يَبْتَسِمُ!

وَاجْعَلْ حَيَاتَكَ دَوْحًا مُزْهِرًا نَضِرًا *** فِي عَزْلَةِ العَابِ يَنْمُو ثُمَّ يَنْعَدِمُ

وَاجْعَلْ لِيَا لِيَلِيكَ أَحْلَامًا مُغَرَّدَةً *** إِنْ الحَيَاةَ وَمَا تُدَوِّي بِهِ حُلْمٌ

فالشاعر في هذه القصيدة يدعو إلى التفاؤل بهذه الحياة، وفي دعوته هذه تلميح للرضا بالقضاء والقدر، وأنه على الإنسان أن يتقبل هذه الحياة بحلوها ومرها وأن يبتسم لما قدر عليه، لأن من تألم واستسلم لها فشل فيها ومن صبر نال القمة، لذا يجب أن يبتسم الإنسان دائما رغم الأحزان لأن الحياة كلها حلم.

¹أغاني الحياة، أبو القاسم الشابي، ص151.

النموذج الرابع: ويقول في قصيدة " يا ابن أُمي"¹:

خُلِقْتَ طَلِيْقًا كَطَيْفِ النَّسِيْمِ، وَحُرًّا كَنُورِ الضُّحَى فِي سَمَاءِ
تُعْرَدُ كَالطَّيْرِ أَيْنَ انْدَفَعْتَ، وَتَشْدُو بِمَا شَاءَ وَحَيُّ الْإِلَهِ
وَتَمْرَحُ بَيْنَ وُرُودِ الصَّبَاحِ، وَتَنْعَمُ بِالنُّورِ، أَنَّى تَرَاهُ
وَتَمْشِي -كَمَا شِئْتَ- بَيْنَ المُرُوجِ، وَتَقْطِفُ وَرْدَ الرُّبَى فِي رَبَاهُ

يتفاعل الشاعر هنا بالحياة ويرى بأنها قد منحت لجميع الكائنات، فقد خلقنا أحراراً كطيف النسيم ونور الضحى، نغني كالطيور في كل مكان بما أَرَادَهُ اللهُ لَنَا، نلعب ونلهو في الحقول تحت نسيم الصباح، وننعم بالنور أنى نلقاه في المروج الواسعة من هذا الكون.

النموذج الخامس: ويقول في قصيدة " الصباح الجديد " متحدياً هذه الحياة²:

اسْكُنِي يَا جِرَاحُ *** وَأَسْكُنِي يَا شُجُونُ
مَاتَ عَهْدُ النُّوَاخِ *** وَرَمَانُ الْجُبُونِ
وَاتَّخَذَتِ الْحَيَاةُ *** مَعْرِفَا لِلنَّغْمِ
إِنَّ سِحْرَ الْحَيَاةِ *** خَالِدٌ لَا يَزُولُ
فَعَلَامَ الشَّكَاةِ *** مِنْ ظَلَامِ يَحُولُ؟
قَدْ دَعَانِي الصَّبَاحُ *** وَرَبِيْعُ الْحَيَاةِ
يَا لَهُ مِنْ دُعَاءِ *** هَزَّ قَلْبِي صَدَاهُ!

¹أغاني الحياة، أبو القاسم الشابي، ص90.

²المصدر نفسه، ص161،163.

فالشاعر في هذه القصيدة يسكن ويسكت الجراح والأحزان لأ، عهد النواح وزمان الجنون قد ولي، وأنه قد نسي كل آلامه وجراحه ويسعى لاستقبال الحياة من جديد لأن الحياة تستحق منا كل اهتمام بها لأنها خالدة أما الآلام والأحزان فهي عارضة وزائلة لا محالة. ثم في آخر هذه القصيدة يودع الهموم والأسى قائلاً:

أَلْوَدَاعُ! الْوَدَاعُ *** يَا جِبَالَ الْهُمُومِ
 يَا ضَبَابَ الْأَسَى! *** يَا فِجَاجَ الْجَحِيمِ!
 قَدْ جَرَى زَوْرُقِي *** فِي الْخِضَمِّ الْعَظِيمِ...
 وَنَشَرْتُ الْقِلَاعَ... *** فَالْوَدَاعُ! الْوَدَاعُ!

فالشاعر هنا متفائل يودع جبال الهموم، وضباب الأسى، وطرق الجحيم ويستقبل حياة جديدة في بحر الحياة العظيم، وهو ينشر شراع سفينته التي أفلعت لاستقبال السعادة. النموذج السادس: ويقول في قصيدة " عُزْفَةٌ مِنْ يَمِّ " عن ضرورة العزيمة والتحدي في الحياة¹:

ضَعْفُ الْعَزِيمَةِ لَحْدٌ، فِي سَكِينَتِهِ *** تَقْضِي الْحَيَاةَ، بِنَاءِ الْيَأْسِ وَالْوَجَلِ
 وَفِي الْعَزِيمَةِ قُوَاتٌ مُسَخَّرَةٌ *** يَخْرُ دُونَ مَدَاهَا الشَّامِحُ الْجَبَلُ
 وَالنَّاسُ شَخْصَانٍ: ذَا تَسْعَى بِهِ قَدَمٌ *** مِنَ الْقُنُوطِ، وَذَا يَسْعَى بِهِ الْأَمَلُ
 هَذَا مِنَ الْمَوْتِ، وَالْأَجْدَاثُ سَاخِرَةٌ *** وَذَا إِلَى الْمَجْدِ، وَالذُّنْيَا لَهُ خَوْلُ
 مَا كُلُّ فِعْلٍ يُجِلُّ النَّاسَ فَاعِلُهُ *** مَجْدًا، فَإِنَّ الْوَرَى فِي رَأْيِهِمْ خَطَلُ

يرى الشاعر هنا أن ضعف العزيمة قبر في هدوءه تنتهي الحياة، وهذا القبر بنته أيدي

¹أغاني الحياة، أبو القاسم الشابي، ص24.

الناس من اليأس والخوف، في حين أن قوة العزيمة تسقط أمامها الجبال الشامخة، لذا فالناس نوعان: منهم من يسعى اليأس والقبر لضعف عزيمته، ومنهم من يسعى به الأمل إلى المجد والعلا والناس له خدم، والناس مع القوي لا الضعيف دائماً.

النموذج السابع: يقول في قصيدة " نشيد الجبار " أو هكذا غنى برومثيروس، وهو إله إغريقي جعله الشابي مثله الأعلى في تحديه للظلم والظالمين، ففي هذه القصيدة يتفاعل بما يخبئه له القدر¹:

سَأَعِيشُ رَغَمَ الـدَّاءِ وَالْأَعْدَاءِ *** كَالنَّسْرِ فَوْقَ الْقِمَّةِ الشَّمَاءِ

أرنو إلى الشمسِ المضيئة..، هازئاً *** بالسُّحْبِ، والأمطارِ، والأنواءِ..

لا أرمقُ الظِّلَّ الكئيبَ..، ولا أرى *** مَا فِي قَرَارِ الهُوءِ السَّوداءِ

وأقولُ للقدَرِ الَّذِي لَا يَنْتَنِي *** عَن حَرْبِ آمَالِي بِكُلِّ بَلَاءِ

((لا يُطْفِئُ اللَّهَبَ المَوْجَّحَ فِي دَمِي *** مَوْجُ الأَسَى، وَعَوَاصِفُ الأَرْزَاءِ))

فَاهْدِمُ فُؤَادِي مَا اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّهُ *** سَيَكُونُ مِثْلَ الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ))

((سَأَطَّلُ أَمْشِي رَغَمَ ذَلِكَ، عَازِفًا *** قِيَّارَتِي، مَتَرِّمًا بَعْنَائِي))

((أَمَّا إِذَا حَمَدْتُ حَيَاتِي، وَانْقَضَى *** عُمْرِي، وَأَخْرَسَتِ المَنِيَّةُ نَائِي))

((فَأَنَا السَّعِيدُ بِأَنْتِي مُتَحَوِّلاً *** عَن عَالَمِ الآثَامِ، وَالبَغْضَاءِ))

يقول الشاعر هنا بأنه رغم المرض والأعداء إلا أنه سيقاوم ويعيش كالنسر فوق القمة الشامخة، ينظر إلى الشمس هازئاً بالسحب والأمطار، ولا أنظر حتى ولو نظرة خفيفة إلى قعر الحفرة العميقة ولا أعيرها بالاً، ثم وبكل إسرار يقول للقدر الذي لا يكف عن محاربة

¹أغاني الحياة، أبو القاسم الشابي، ص ص 178_179.

آماله بأنه لن يطفئ نار دمه الساخن المصائب، وبأن قلبه سيكون كالصخرة الصماء الراسخة التي لا يهزها ما حولها من رياح، وأنه سيظل يعزف على آتة الموسيقى أجمل الأغاني، أما إذا أدركه الأجل فسيكون سعيداً لابتعاده عن عالم الآثام والحقد والكره.

2- الحب:

لقد كان للحب دوراً كبيراً في حياة الشابي، وقد عبر عنه في كثير من قصائد ديوانه، منها :

النموذج الأول: في قصيدة " أيها الحب " التي يقول فيها¹:

أيها الحب! أنت سرُّ وجودي *** وحياتي، وعزّتي وإبائي

وشعاعي ما بين ديجور دهري *** وأليفي، وقُرتي، ورجائي

يرى الشاعر هنا أن الحب هو سبب الوجود ومبعثه وبه تستقيم الحياة، ويعز فيها الإنسان، وهو النور الذي يسر به ويسعد من ظلام الدهر.

النموذج الثاني: في قصيدة " نِكْرَى صَبَاح " التي يدعو فيها الحب أن يغمره يقول²:

كَبَلِي با سلاسلَ الحبِّ أفكا *** ري، وأحلامَ قلبي الضَّليلِ

كَبَلِينِي بكل ما فيك من عطرٍ *** وسحرٍ مقدّسٍ، مجهول

كَبَلِينِي، فإنما يصبح الفنان *** حرّاً، في مثل هذه الكبول

يستدعي الشاعر الحب ليكبله ويكبل أفكاره وأحلام قلبه الضليل، ففي تكبيله عطر وسحر مقدس، وفي هذا التكبيل يصبح الفنان حراً مبدعاً في فنه سعيداً.

¹أغاني الحياة، أبو القاسم الشابي، ص7.

²المصدر نفسه، ص158.

النموذج الثالث: يقول فى قصيدة " الحب " الذى يعتبره رمزا للسعادة¹:

الحُبُّ شُعْلَةٌ نُورٍ سَاحِرٍ، هَبَطَتْ *** مَنِ السَّمَاءِ، فَكَانَتْ سَاطِعَ الفَلَقِ
وَمَرَّقَتْ عَنِ جُفُونِ الدَّهْرِ أَغْشِيَةً *** وَعَنِ وِجْوِهِ اللَّيَالِي بُرْفَعِ العَسَقِ
الحُبُّ رُوحٌ إِلَهِيٌّ، مَجْنَحَةٌ *** أَيَّامُهُ بِضِيَاءِ الفَجْرِ والشَّفَقِ
يَطُوفُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، فَيَجْعَلُهَا *** نَجْمًا، جَمِيلًا، ضُحُوكًا، جِدِّ مُؤْتَلَقِ
لَوْلَاهُ مَا سُمِعَتْ فِي الكَوْنِ أَغْنِيَةٌ *** وَلَا تَأَلَّفَ فِي الدُّنْيَا بِنُورِ أَفُقِ
الحُبُّ جَدُولٌ خَمْرٍ، مَنِ تَدَوَّقَهُ *** خَاضَ الجَحِيمِ، وَلَمْ يَشْفُقْ مِنَ الحَرَقِ
الحُبُّ غَايَةٌ آمَالِ الحَيَاةِ، فَمَا *** خَوْفِي إِذَا ضَمَّنِي قَبْرٌ؟ وَمَا فَرَقِي؟

فهو هنا يعد الحب رمزا للسعادة، حيث يعتبره شعلة نور نزلت من السماء فكانت ساطعة كنور الصبح، فمزقت أغشية الدهر وأزالت قناع الظلام، ويرى الحب بأنه روح إلهي أيامه جميلة مستبشرة، فلولاه ما كانت تنشد أعذب الأغاني فى الكون، ومن تذوق حلاوة الحب انتصر على نار الجحيم، فالحب غاية الحياة ومن بلغ ذروة الحب فقد نال مبتغاه فى هذا الوجود.

¹أغاني الحياة، أبو القاسم الشابى، ص54.

3- الطبيعة:

من بين مظاهر الطبيعة التي كان الشابي متأثراً ومتقائلاً بها ويجد فيها متنفساً من هموم الحياة هي الغاب، من النماذج التي تثبت ذلك:

النموذج الأول: لقد خص الشابي ديوانه بقصيدة أسماها "الغاب" والتي يقول فيها¹:

في الغاب، دنيا للخيال، وللرؤى، *** والشّعـر، والتفكير، والأحلام	
لله يومٌ مضيتُ أولَ مـرّةٍ *** للغاب، أرزُحُ تحت عبءِ سقامي	
ودخلتُه وحدي، وحولي موكبٌ *** هـزجٌ، من الأحلامِ والأوهامِ	
ومشيتُ تحتَ ظلاله مُتهيباً *** كالطُفْل، في صمّتٍ، وفي استسلامِ	
أرنا إلى الأدواح، في جبروتها *** فأخالها عمَدَ السَّماءِ، أمامي	
قد مسّها سحرُ الحياة، فأورقتُ *** وتَمَـايَلتُ في جَنَّةِ الأحلامِ	
وأصيحُ للصمّتِ المفكّر، هاتِفاً *** في مِسمعي بغرائبِ الأنعامِ	
فإذا أنا في نشوةٍ شعريةٍ *** فيأضه بالوحيوالإلهامِ	
ومشاعري في يقظةٍ مسحورةٍ ***	
في الغاب، في الغابِ الحبيبِ، وإنّه *** حَرَمُ الطَّبِيعَةِ والجمالِ السَّامِي	
طهّرتُ في نارِ الجمالِ مشاعري *** ولقيتُ في دنيا الخيالِ سَلامِي	
ونسيبتُ دنيا الناسِ، فهَي سَخافَةٌ *** سَكَرَى من الأوهامِ والآثامِ	

¹أغاني الحياة، أبو القاسم الشابي، ص 185_186.

- وَقَبَسْتُ مِنْ عَطْفِ الْوَجُودِ وَحُبِّهِ *** وَجَمَالِهِ قَبَسًا، أَظَاءَ ظَلَامِي
- فَرَأَيْتُ أَلْوَانَ الْحَيَاةِ نَضِيرَةً *** كَنَضَارَةِ الزَّهْرِ الْجَمِيلِ النَّامِي
- وَوَجَدْتُ سِحْرَ الْكُونِ أَسْمَى عَنَصْرًا *** وَأَجَلَ مِنْ حُزْنِي وَمِنْ آلَمِي
- فَأَهْبْتُ - مسحورَ المشاعر، حالمًا *** نشوانَ - بالقلبِ الكئيبِ الدَّامِي:
- ((المعبدُ الحيُّ المقدَّسُ ها هنا! *** يَا كَاهِنَ الْأَحْزَانِ وَالْآلَامِ))
- فَاخْلَعْ مُسَوِّحَ الْحُزْنِ تَحْتَ ظِلَالِهِ *** وَابْسُ رِدَاءَ الشُّعْرِ وَالْأَخْلَامِ))

فهو هنا متفاعل ومسرور بالشعور الذي ينتابه عندما يكون في الغاب، هذا الشعور الذي يأخذه إلى عالم الخيال والشعر والأحلام الذي ينسى فيه كل همومه التي قاساها من بني جنسه، وكان يرى أن في هذا الغاب الجميل وسيلة لتطهير مشاعره، وفي دنيا الخيال سلامه، وينسى دنيا الناس الثملة بالذنوب والأوهام، ويشعل من عطف وحب وجمال الوجود شعلة لينير بها دنياه المظلمة حتى يبصر جمال الحياة وسحر الوجود ليفرح قلبه العليل، ويعتبر هذا الغاب هو المعبد المقدس الذي يخلع فيه الإنسان همومه وأحزانه ويلبس فيه رداء الأحلام.

النموذج الثاني: يقول الشاعر في قصيدة "نِكْرَى صَبَاح" ¹:

- قَدَسَ اللَّهُ نِكْرَهُ مِنْ صَبَاحٍ *** سَاحِرٍ، فِي ظِلَالِ غَابِ جَمِيلٍ
- كَانَ فِيهِ النَّسِيمُ، يَرْقُصُ سَكْرَانًا *** عَلَى الْوَرْدِ، وَالنَّبَاتِ الْبَلِيلِ
- وَضَبَابُ الْجِبَالِ، يَنْسَابُ فِي رَفْقٍ *** بَدِيعٍ، عَلَى مُرُوجِ السُّهُولِ
- وَأَغَانِي الرُّعَاةِ، تَخْفُقُ فِي الْأَغْوَارِ *** وَالسَّهْلِ، وَالرَّيِّ، وَالتَّلْوْلِ

¹ أغاني الحياة، أبو القاسم الشابي، ص 158.

ورحَابُ الفضاءِ، تعبِقُ بِاللَّحَانِ *** والعَطْرِ، والضيَاءِ الْجَمِيلِ
الشاعر في هذا النص يعشق الصباح ويجله فيضفي عليه صفة القداسة لهذا
الصباح الساحر الموجود في ظلال الغاب الجميل، ثم يصف ما في هذا الصباح الجميل؛
فالنسيم يرقص على الورد المبلل، والضباب ينساب على مروج السهول، وأغاني الرعاة
تتردد أصدائها في السهول والرى والتلول، والفضاء الرحب مضيء جميل. كل هذه
الصور تدعو إلى التفاؤل بما في هذه الطبيعة من جمال.

النموذج الثالث: ومن قصائده أيضاً قصيدة " من أغاني الرعاة " التي يقول فيها¹:

أَقْبَلَ الصُّبْحُ يُغْنِي لِلْحَيَاةِ النَّاعِسَةَ
وَالرُّبَى تَحْلُمُ فِي ظِلِّ العُصُونِ المَائِسَةَ
وَالصَّبَا تُرْقِصُ أَوْرَاقُ الزُّهُورِ اليَائِسَةَ
وَتَهَادَى النُّورُ فِي تِلْكَ الفِجَاجِ الدَامِسَةَ
أَقْبَلَ الصُّبْحُ جَمِيلاً، يَمَلَأُ الأفُقَ بِهَاة
فَتَمَطَّى الزَّهْرُ، والطَّيْرُ، وَأَمْوَجُ المِيَاءِ
قَدْ أَفَاقَ العَالَمِ الحَيِّ، وَغَنَّى لِلْحَيَاةِ
فَأَفِيقِي يَا خِرَافِي، وَهَلِّمِي يَا شِيَاهُ

يبدو الشاعر في هذه القصيدة منذ بداية النص مستبشراً ومتفائلاً، وينظر إلى الحياة
بمنظارٍ أكثر جمالاً، على الرغم من أنه كان عليل القلبوجاء للاستشفاء، فهو يشعر وكأن
الحياة قد بدأت من جديد، فالصبح دائماً هو البداية في كل شيء،وهو هنا يقول أن
الصبح قد جاء بوجه جديد وجميل فها هو قد أقبل يغني للحياة التي مازالت في فراشها

¹أغاني الحياة، أبو القاسم الشابى، ص152.

بين النوم واليقظة، أما الربى فما زالت تغط في نومها تحت الغصون المتمايلة مستسلمة لأحلامها الجميلة، في حين تمريرح الصبا لتداعب أوراق الأزهار التي يبست وترقصها على أنغام الصباح، لتعيد لها الحياة من جديد، وفي هذا الوقت يكون النور قد سار متمايلا في الطرق الواسعة بين الجبال يخترق الظلمة ويبددها.

ثم ينتقل ليقول بأن هذا الصباح مازال مختلفاً جميلاً يملأ الحياة أملاً وتفاؤلاً، فجماله ينتشر في كل مكان مما جعل كل ما في هذه الطبيعة من زهور، وطيور، وأمواج المياه الهادئة يستيقظن نومهمثائباً ، فها قد أفاق العالم الحي بعد موت صغير وهو الآن يغني للحياة، وهنا يأمر الشاعر قطيع الخراف والشياه لأن تتيقظ وتسعى لطلب رزقها.

4-الوطنية:

كان الشابي يرى أن الشعب لا يكون جديرا بالحياة، إلا إذا تحمل مسؤولية النهوض بوطنه وتقدمه وتحريره من يد المغتصبين له، ومن جماليات شعره في مجال الوطنية وحب الوطن:

النموذج الأول: لقد عبّر شاعرنا عن الوطنية في قصيدة" إلى الشعب" التي يقول فيها¹:

أَيْنَ يَا شَعْبُ قَلْبُكَ الْخَافِقُ الْحَسَّاسُ؟ *** أَيْنَ الطُّمُوحُ، وَالْأَحْلَامُ؟

أَيْنَ يَا شَعْبُ، رُوحُكَ الشَّاعِرُ الْفَنَّانُ *** أَيْنَ، الْخَيَالُ الْإِلَهَامُ؟

أَيْنَ يَا شَعْبُ، فَنُّكَ السَّاجِرُ الْخَالِقُ؟ *** أَيْنَ الرُّسُومُ وَالْأَنْغَامُ؟

أَيْنَ يَمُّ الْحَيَاةِ يُدَوِّي حَوَالِيكَ *** فَأَيْنَ الْمُعَامِرُ، الْمُقَدَّامُ

يحاولها الشاعر أن يشدذ هم شعبه ويكون المواطن الغيور على وطنه، وذلك من خلال

¹أغاني الحياة، أبو القاسم الشابي، ص137.

الفصل الثاني مظاهر التفاؤل والتشاؤم في ديوان أغاني للشابي

منداته بعبارات رقيقة حساسة تدخل القلب قبل الأذن (قلبك، الخافق، الحساس، الطموح، فنك، الأنغام، يدوي، المغامر، المقدام...) وهذا لكي يستجيب لتلبية نداء الوطن.

النموذج الثاني: يقول في قصيدة " تونس الجميلة " التي سما فيها بحبه لأعلى منازل الوطنية¹:

أَنَا يَا تُونُسُ الْجَمِيلَةَ فِي لُحِّ *** الهَوَى قَدْ سَبَحْتُ أَيَّ سِبَاحَه
شَرَعْتِي حُبِّكَ الْعَمِيقُ وَإِنِّي *** قَدْ تَدَوَّقْتُ مُرَّهُ وَقَرَّاحَهُ
لَسْتُ أَنْصَاعُ لِلْوَاحِي وَلَوْ مِتُّ وَقَامَتْ عَلَى شَبَابِي الْمَنَاحِ
لَا أَبَالِي وَإِنَّ أُرِيقَتْ دِمَائِي *** فِدْمَاءُ الْعُشَاقِ دَوْمًا مَبَاحَهُ

هام الشاعر بحب وطنه بألمع الأوصاف فيناديها بالجميلة وقد سبح أي سباحة في معظم هواها، ومنهاجه وطريقه حبها العميق وإن كان قد شرب من حبها الخالص أو المغشوش، فهو لا يبالي في حبها بالموت وإن كان ما يزال في عز شبابه أو أريقته دمائه فدماء العشاق مباحة.

¹أغاني الحياة، أبو القاسم الشابي، ص10.



5- المرأة:

كان للمرأة منذ القديم ملهمة للرجل، فتغنى بها بأجمل الألحان ورسم فيها أحلى الصور، وهذا ابن تونس قد أولى اهتماما كبيرا كغيره من الرومانسيين بالمرأة وقدموها إلى درجة العبودية، وقد كان ديوانه "أغاني الحياة" أكبر ممثل لهذا الغرض، ومن بين قصائده التي يتحدث فيها عن المرأة نذكر ما يلي:

النموذج الأول: قصيدته " صلوات في هيكل الحب " التي يقول فيها متغزلا¹:

يَا لَهَا مِنْ طَهَارَةٍ، تَبَعْتُ التَّقْدِيمَ — *** سَ فِي مُهْجَةِ الشَّقِيِّ العَنِيدِ! ...
يَا لَهَا رِقَّةً تَكَادُ يَزْفُ الوَرْدُ *** دُ مِنْهَا فِي الصَّخْرَةِ الجَلْمُودِ!
أَيُّ شَيْءٍ تَرَكَ؟ هَلْ أَنْتَ ((فِينيسُ)) *** تَهَادَتْ بَيْنَ الوَرَى مِنْ جَدِيدِ
لِتُعِيدَ الشَّبَابَ وَالْفَرَحَ *** المَعْسُولِ لِلْعَالِمِ التَّعْبِيسِ العَمِيدِ!
أُم مَلَائِكِ الفِرْدَوْسِ جَاءَ إِلَى الأَزْ *** ضِ لِيَحْيِيَ رَوْحَ السَّلَامِ العَهِيدِ!
أَنْتِ تَحْيِينِ فِي فُؤَادِي مَا قَدْ *** مَاتَ فِي أُمْسِي السَّعِيدِ الفَقِيدِ
وَتُشِيدِينَ فِي خَرَابِ رُوجِي *** مَا تَلَأَشَى فِي عَهْدِي المَجْدُودِ

في هذه القصيدة يضيف الشاعر صفة التقديس والطهارة على المرأة، ويقف حائرا متسائلاً عن حقيقتها وهل هي آلهة الجمال ظهرت من جديد لتعيد الفرح والعز للعالم الغارق في الأحزان، أم هي ملاك الجنة نزل من السماء لتحيا السلام القديم، فهي تحيي في قلبه كل ما قد نسيه في زمانه السعيد، فهي تعيده إلى عالم الخيال والأحلام.

¹أغاني الحياة، أبو القاسم الشابي، ص124.

النموذج الثاني: يقول في قصيدة "الجمال المنشود"¹:

يَا عَذَارَى الْجَمَالِ، وَالْحُبِّ وَالْأَحْلَامِ *** بَلْ يَا بَهَاءَ هَذَا الْوُجُودِ!

وَرَيِّعِ الشَّبَابِ يُذْبِلُهُ الدَّهْرُ، *** وَيَمْضِي بِحُسْنِهِ الْمَعْبُودِ

غَيْرَ بَاقٍ فِي الْكَوْنِ إِلَّا جَمَالُ *** الرُّوحِ غَضًّا عَلَى الزَّمَانِ الْأَبِيدِ

يصف المرأة هنا مناديا إياها بأجمل الأوصاف ملكة الجمال والحب والأحلام مستدركا بأنها بهاء هذا الوجود، ثم يؤكد على أهمية جمال الروح فهو فوق كل جمال لأنه باقٍ ودائم على مر الزمن بينما جمال الشكل يبليه الدهر.

¹أغاني الحياة، أبو القاسم الشابي، ص110.

المبحث الثاني: مظاهر التشاؤم في الديوان

نجد في الشعر الحديث سمة الحزن والتشاؤم بكثرة، وأبو القاسم الشابي خير من يمثل هذه النزعة، لأن هذا الشاب الفتى الذي رحل عن الدنيا في سن الزهور قد تحمل مصائب نكلت به وجعلته ينحى هذا المنحى المليء بالآلام بداية من موت حبيبته ثم وفاة والده إلى جانب قلبه العليل إضافة إلى تحمله مسؤولية حمل مشعل الحرية للدفاع عن الوطن. وهذا ما سنحاول عرضه هنا من خلال ما يلي:

1-الصدمة العاطفية:

عاش الشابي تجربة عاطفية عميقة باءت بالفشل بموت الحبيبة في ريعان شبابها، هذا ما طعن قلبه ومزق وجدانه على فراق من أحبها يافعاً نظراً فبكاها بكاءً شديداً، ومن بين القصائد التي عبر فيها عن معاناته ما يلي:

النموذج الأول: قصيدة " مَاتَمَ الحُبُّ " التي يقول فيها¹:

فِي الدِّيَاجِي

كَمْ أَنَا جِي

مَسْمَعِ القَبْرِ، بَعْصَاتِ حَبِيبِي، وَشُجُونِي

ثُمَّ أَصْغِي، عَلَّنِي أَسْمَعُ تَرْدِيدِ أُنِينِي

فَأَرَى صَوْتِي فَرِيداً!

فَأُنَادِي:

((يَا فُوَادِي))

¹أغاني الحياة، أبو القاسم الشابي، ص 25، 26.

((مَاتَمَنْ تَهْوَى! وَهَذَا اللَّحْدُ قَدْ ضَمَّ الْحَبِيبَ))

((فَابِكِ يَا قَلْبُ بِمَا فِيكَ مِنَ الْحُزْنِ الْمُذِيبِ))

((إِبِكِ يَا قَلْبُ، وَحِيدًا!))

النموذج الثاني: يقول في قصيدة "أنا أبكيك للحب" التي يبكي فيها حبيبته¹:

لَسْتُ يَا أُمِّي أَبْكَيكَ لِمَجْدٍ أَوْ لِحَاةٍ

سَلَبْتُهُ مَنِّي الدُّنْيَا، وَبَزَّتْني رِداهُ

إِنَّمَا أَبْكَيكَ لِلْحَبِّ، الَّذِي كَانَ بِهِا

يَمَلُّ الدُّنْيَا فَأَنَّى سِرْتُ فِي الدُّنْيَا أَرَاهُ

وَهُوَ فِي قَلْبِي - الَّذِي عَانَقَهُ الفَجْرُ - إِلَه!

يحن الشاعر في هذه القصيدة ويشتاق في كآبة وحنن إلى حبه الطفولي الذي أخذته الموت منه، وتركت في نفسه آثارا عميقة لم تمحها الأيام، حيث أنه في هذه الأبيات يبكي أمسه ولكن ليس لأجل مال أو سلطان وإنما من أجل حبه الذي سلبته منه الحياة، وكان يملأ الدنيا عليه ببهاه، ويراه في كل مكان في هذا الكون الفسيح على أنه إله.

¹أغاني الحياة، أبو القاسم الشابي، ص121.

النموذج الثالث: يقول أيضا في قصيدة " جدول الحب بين الأمس واليوم " التي تتجلى فيها آلامه ومأساته بوضوح¹:

بِالْأَمْسِ قَدْ كَانَتْ حَيَاتِي كَالسَّمَاءِ الْبَاسِمَةِ
وَالْيَوْمِ، قَدْ أُمَسْتُ كَأَعْمَاقِ الْكُهُوفِ الْوَاجِمَةِ
قَدْ كَانَ لِي مَا بَيْنَ أَحْلَامِي الْجَمِيلَةِ جَدُولُ
يَجْرِي بِهِ مَاءُ الْمَحَبَّةِ طَاهِرًا، يَتَسَلَّلُ
تَسْعَى بِهِ الْأَمْوَاجُ بِاسِمَةِ كَأَحْلَامِ الصَّبَا
بَيضَاءَ، نَاصِعَةً ضُحُوكًا مِثْلَ أَزْهَارِ الرُّيِّ
مِيَّاسَةً كَعَرَائِسِ الْفِرْدَوْسِ بَيْنَ حُقُولِهِ
تَتْلُو أَنَاشِيدَ الْمُنَى فِي مَدِّهِ وَقُقُولِهِ

نجد في هذه القصيدة ذكرى حبه في الماضي تسيطر عليه في يومه، إذ يقول بأنه كان بالأمس كانت حياته مبتسمة وصافية كالسمااء لأن حبيبته كانت معه، واليوم أمست كالكهوف الصامته حزناً، فبالأمس قد كان له حبا طاهرا ضحوكا صاحبه ناصع البياض، تختال في مشيتها كعرائس الجنة بين الحقول تتلو الأناشيد في رواحها ورجوعها.

¹أغاني الحياة، أبو القاسم الشابي، ص55.

النموذج الرابع: قصيدة " الذكرى " التي يتحسر فيها على حبه ويبكي ماضيه الأليم فيقول¹:

كنا كزوجي طائر، في دوحه الحب الأمين
نتلو أناشيد المنى بين الخمائل والغصون
متعزدين مع البلابل في السهول وفي الحزون
مات الحبيب، وكل ما كنت ترجو أن يكون!
فاصبر على سخط الزمان، وما تُصرفه الشؤون
قلبا، تُروعه الحياة، ولا تُهادئه السنون
ومشاعرا حسرى، يسير بها القنوط إلى الجنون

فهو هنا يبكي أمسه ويندب حبه الذي ضاع منه، فقد كان بأمسه مع حبيبته كزوجي طائر في مظلة الحب آمنين، مغردين في السهول وفي الأراضي المرتفعة، واليوم لم يعد هذا الحب إلا ذكرى لأن الحبيب رحل عن هذه الدنيا تاركا الألم والحزن، وها هو يصبر نفسه على غضب الزمان وأن الموت سينقذه مما هو فيه من حزن وألم. وصدمة الشابي من الحب صدمة قوية حتى صار متشائما منه، ويظهر هذا جليا

في قصيدة " أيها الحب " التي يقول فيها²:

أيها الحب أنت سرُّ بلائي *** وهُمومي، ورؤعتي، وعنائِي
ونُحولي، وأدْمعي، وعَدابي *** وسَقامي، ولَوْعتي، وسَقائِي

¹أغاني الحياة، أبو القاسم الشابي، ص ص 60، 61.

²المصدر نفسه، ص7.

الفصل الثاني مظاهر التفاؤل والتشاؤم في ديوان أغاني للشابي

فالشاعر في هذه القصيدة يرى بأن عاطفة الحب هي مصدر الشقاء وهي سر بلاءه، وهمومه، وأحزانه، وضعف جسمه، ودموعه التي ذرفها، وعذابه، والمرض الذي عانى منه.

2-مكابدة المرض:

أصيب الشاعر بمرض داء القلب، الذي أودى بحياته وحولها إلى حياة يائسة متشائمة قاسية، مليئة بالأحزان، وهذا ما يصوره في قصائده منها:

النموذج الأول: قصيدة " فِي ظِلِّ وَادِي المَوْتِ " التي يقول فيها¹:

نَحْنُ نَمْشِي، وَحَوْلَنَا هَاتِهِ الأَكْوَانُ

تمشي...، لَكِنْ لَأَيَّةِ غَايَةٍ؟

...

((وَأَكَلْنَا التُّرَابَ حَتَّى مَلَلْنَا...))

((وَشَرَبْنَا الدَّمْعَ، حَتَّى رَوِينَا...))

((وَنَثَرْنَا الأَحْلَامَ وَالحُبَّوَالآلَامَ...))

((وَاليَاسَ، وَالآسَى، حَيْثُ شِينَا...))

((ثم ماذا؟ هذا أنا: صرتُ في الدنيا))

((بعيداً عن لهوها وغناها))

¹أغاني الحياة، أبو القاسم الشابي، ص ص143،144.



((في ظلامِ الفَنَاءِ، أدفُنُ أَيَّامِي،))

((ولا أستطيعُ عُنْتِي بكاهَا؟))

((وزهورُ الحياةِ تهوى، بصَمْتِ))

((محزنٍ، مُضْجِرٍ، على قدميَّ،))

((جَفَّ سحرُ الحياةِ، يا قلبي الباكي،))

((فَهَيَّا، نُجَرِّبِ الموتَ... هَيَّا...!))

إن هذا المرض الذي أصابه رسم على حياته صبغة التشاؤم من هذا الكون، وصار يتساءل عن الغاية التي يسير إليها؟ أي ما وجهته في هذه الحياة وهذا الكون وهو لا يقدم له سوى أكل التراب وشرب الدموع، والابتعاد عن لهو الدنيا وغناها، هذا ما جعل الحياة في نظره غير عادلة مليئة بالحزن والملل لأنها حرمته التمتع بها وهو ما يزال في عمر الزهور.

النموذج الثاني: يقول في قصيدة " السعادة " التي افتقدها قلبه¹:

تَرْجُو السَّعَادَةَ يا قلبي ولو وُجِدَتْ *** في الكون لم يشتعل حُزْنٌ ولا أَمٌّ

ولا استحالت حياةُ النَّاسِ أجمعها *** ورُزِلتْ هاتِه الأكوانُ والنُّظْمُ

فما السَّعادة في الدنيا سوى حُلْمٍ *** ناءٍ تُضَحِّي له أَيَّامَهَا الأُمَّمُ

ناجت به النَّاسَ أوهامٌ مُعَرِّبَةٌ *** لَمَّا تَعَشَّتْهُمُ الأَحلامُ والظُّلْمُ

فَهَبَّ كلُّ يُناديه وينشُدُهُ *** كأنما النَّاسُ ما ناموا وما حلُّموا

¹أغاني الحياة، أبو القاسم الشابي، ص151.

يخاطب الشاعر قلبه الذي أتعبه وأنهكه وهو يريد السعادة، فيقول له لو وُجِدَتْ السعادة لما كان حزن ولا ألم ولا تعكرت حياة الناس، فما السعادة في هذه الحياة سوى حلم بعيد صعب المنال نضحي من أجله دون جدوى وبنجاحيه بأوهام سيئة، وبناديه ونطلبه وكأن ليس لهذه الناس عقول.

3-فقدان والده:

كان موت والده صدمة قوية على نفسه جعلته يتحمل مسؤوليات عديدة، لم يكن مستعد لها بعد، وقد لونت هذه الحادثة حياته بلون الكآبة والشؤم، لأن هذه المسؤوليات وقفت في وجه ما كان يريد تحقيقه وهذا ما نلمسه في:

النموذج الأول: قصيدة " قيود الأحلام " التي يقول فيها¹:

وأودُّ أن أحيَا بفِكْرَةِ شَاعِرٍ *** فأرى الوُجُودَ يَضِيقُ عَنَ أَحْلَامِي

لَكِنِّي لَا أُسْتَطِيعُ، فَإِنَّ لِي *** أُمَّ، يَصُدُّ حَنَانُهَا أَوْهَامِي

وَصِغَارَ إِخْوَانٍ، يَرُونَ سَلَامَهُمْ *** فِي الْكَائِنَاتِ مُعَلَّقًا بِسَلَامِي

فَقَدُّوا الأبَّ الحَانِي، فَكُنْتُ لَضُعْفِهِمْ كَهْفًا يَصُدُّ غَوَائِلَ الأَيَّامِ

وَيَقِيهِمْ وَهَجَ الحَيَاةِ، وَلَفَحَهَا *** وَيَذُودُ عَنْهُمْ شَرَّةَ الأَلَامِ

فَأَنَا المَكْبَلُ فِي سَلَسِلٍ، حَيَّةٍ، *** ضَحِيَّتُ مِنْ رَأْفِي بِهَا أَحْلَامِي

في هذه القصيدة نحس الألم العظيم الذي لحق بالشابي وهو الذي كان راغبا في الحرية، وأن يعيش شاعرا، لكن الحياة لم تتصفه فضاقت عليه وعلى أحلامه جراء وفاة والده الذي ترك له أمًا يصد حنانها وعطفها كل أحلامه فتصير أوهاماً، كما ترك له إخوة

¹أغاني الحياة، أبو القاسم الشابي، ص117.

صغار يرون فيه الأب الحاني وهذا ما جعله يتحمل مسؤولية عائلته مضحياً بأحلامه.

النموذج الثاني: ويقول في قصيدة " يا موت"¹:

يا مَوْتُ! قَدْ مَزَّقْتَ صَدْرِي *** وَقَصَمْتَ بِالْأَرْزَاءِ ظَهْرِي
وَرَمَيْتَنِي مِنْ حَالِقٍ، وَسَخِرْتَ مِنِّي أَيَّ سَخِرِ
فَأَبَيْتُ مَرْضُوضَ الْفَوَادِ أَجْرُ أَجْنَحْتِي بِذُعْرِ...
وَقَسَوْتَ إِذْ أَبْقَيْتَنِي فِي الْكَوْنِ أَذْرُعُ كُلِّ وَعْرِ
وَفَجَعْتَنِي فِيْمَنْ أُحِبُّ، وَمَنْ إِلَيْهِ أُبْتُ سَرِّي
وَأَعُدُّهُ، فَجَرِي الْجَمِيلَ، إِذَا أَدْلَاهُمْ عَلَيَّ دَهْرِي
وَرَزَاتَنِي فِي عُمْدَتِي، وَمَشُورَتِي فِي كُلِّ أَمْرِ
وَهَدَمْتَ صَرْحًا، لَا أَلُوذُ بغيره، وَهَتَكْتَ سِتْرِي
فَفَقَدْتُ رُوحًا، طَاهِرًا، شَهْمًا، يَجِيشُ بِكُلِّ خَيْرِ

فالشاعر في هذه القصيدة يصرخ من شدة الحزن والألم عن الذكريات التي تركها له والده ورحل دون رجعة ، لأن الموت خطف منه أقرب شخص إليه، فهو ينادي الموت وقد مزقت صدره، وكسرت بالمصائب ظهره، وفجعته في أبيه الذي يبث سره إليه ويعتبره نوره عندما تظلم الدنيا في عينيه، فقد حرمته الموت من عمدته ومن الشخص الذي كان يلوذ إليه ويحتمي به عندما تشتد عليه الكربات.

¹أغاني الحياة، أبو القاسم الشابي، ص97.

4- كفاح المستعمر:

اتخذ الشابي من الاستعمار موقف العداوة الصريحة، وذلك لما كان يهدف إليه هذا المستعمر من تقييد حرية الشعب وطمس هويته، وإبقائه في حالة من التخلف الفكري حتى يسهل تطويعه لخدمة مصالحه، وهذا ما جعل الشابي يتحمل مسؤولية تنوير عقول أبناء وطنه وتعريفهم بحقيقة هذا الغريب الذي ينهب خيراتهم وهم نيام غير مباليين بما يحدث حولهم، وقد كانت أشعاره خير دليل على ذلك، ومنها:

النموذج الأول: قصيدة " إرادة الحياة " التي تعتبر مفتاح للحرية حيث يقول فيها¹:

إذا الشَّعبُ يوماً أرادَ الحياةَ *** فلا بُدَّ أنْ يَسْتَجِيبَ القدرُ
ولا بُدَّ للَّيْلِ أنْ يَنْجِلي *** ولا بُدَّ للقيدِ أنْ يَنْكَسِرَ
وَمَنْ لم يعانقهُ شوقُ الحياةِ *** تبخَّرَ في جَوْها، وانْدَثَرَ
فويلٌ لمنْ لم تَشُقَّهُ الحياةُ *** من صَفْعَةِ العَدَمِ المنتصرِ

إن هذه القصيدة هي صرخة في وجه الاستعمار وإعلان بأن الشعوب لا تقهر إذا أرادت الحياة لان الله سيستجيب لها ويحقق آمالها، وأن الليل سينجلي لأنه مهما طال الليل فلا بد أن يبيزغ الفجر، ومهما طال زمن بقاء هذا المستعمر في تونس الحبيبة إلا أن هذه الأيام الصعبة ستطوى، وهذا ما استطاع الشاعر أن يحدث عليه شعبه ويشعل نيرانهم الكامنة داخلهم لافتكاك وطنهم من أيدي المغتصبين ونجح فيما سما إليه بجدارة. تأثر الشابي بما يسود وطنه من تقهقر وانحطاط وضعف وخضوع واستعباد، فسخط على الحياة وتشاءم منها محاولاً إصلاحها من خلال قصائده التي تجود بها قريحته إلى أبناء وطنه خاصة وكل الشعوب التي تعاني عامة حتى يحصلوا على الحرية.

¹أغاني الحياة، أبو القاسم الشابي، ص166.

النموذج الثاني: ويقول في قصيدة " سر النهوض"¹:

لا يَنْهَضُ الشَّعْبُ إِلَّا حِينَ يَدْفَعُهُ *** عَزْمُ الحَيَاةِ، إِذَا مَا اسْتَيْقَظَتْ فِيهِ
والحَبُّ يَخْتَرِقُ العُبرَاءَ، مُنْدَفِعاً *** إِلَى السَّمَاءِ، إِذَا هَبَّتْ تَتَادِيهِ
والقَيْدُ يَأْلَفُهُ الأُمُوتُ، مَا لَبِثُوا *** أَمَّا الحَيَاةُ فَيُبْلِيهَا وَتَبْلِيهِ

فهو يؤكد أن نهوض الشعب لا يكون إلا إذا استيقظ فيه عزم الحياة ضد هذا المستعمر، وبالحب نستطيع رد العدو واختراقه استجابة لنداء الوطن، كما يخترق الحب الأرض عندما تتاديه السماء، والقيد لا يألفه إلا الأموات، أما الأحياء فهم في معركة لا هوادة فيها بين الحياة وأعبائها.

النموذج الثالث: يخاطب الظالم في قصيدة " إلى طُغاة العالم " التي يقول فيها²:

أَلَا أَيُّهَا الظَّالِمُ المُسْتَبَدُّ *** حَبِيبُ الظَّالِمِ، عَدُوُّ الحَيَاةِ
سَخَرْتَ بَأْنَاتِ شَعْبٍ ضَعِيفٍ *** وَكَفُّكَ مَخْضُوبَةٌ مِنْ دَمَاهُ
وَسِرْتَ تُشَوِّهُ سِحْرَ الوُجُودِ *** وَتَبْدُرُ شَوْكَ الأَسَى فِي رِيَاةِ

رُؤْيَدَكَ! لا يَخْدَعُنكَ الرِّبِيعُ *** وَصَحُو الفَضاءِ، وَضُوءُ الصَّبَاحِ
ففي الأَفُقِ الرَّحْبِ هُوَ الظَّالِمُ *** وَقِصْفُ الرُّعُودِ، وَعَصْفُ الرِّيحِ
حَذَارٍ! فَتَحَتِ الرَّمَادِ اللَّهيبُ *** وَمَنْ يَبْدُرُ الشَّوْكَ يَجُنُّ الجِرَاحُ
تَأْمَلْ! هِنَالِكَ أَتَى حَصَدَتِ *** رُؤُوسَ السُّورِ، وَزَهْوَرَ الأَمَلِ
وَرَوَّيْتَ بِالدَّمِ قَلْبَ التُّرابِ *** وَأَشْرَبْتَهُ الدَّمْعَ حَتَّى تَمِلَ
سَيَجْرُقُكَ السَّيْلُ، سَيْلُ الدَّمَاءِ *** وَيَأْكُلُكَ العَاصِفُ المُشْتَعِلُ

¹ أغاني الحياة، أبو القاسم الشابي، ص 131.

² المصدر نفسه، ص 183.

يحاول الشاعر في هذه القصيدة فضح جرائم المستعمر، وذلك من خلال مخاطبته قائلاً: أيها المستبد المغتصب، محب الظلام، عدو الحياة، لقد لطخت يدك بدماء الأبرياء وسخرت من أنات هذا الشعب الضعيف، ولم يكفك كل هذا حتى سرت تفسد جمال هذا الكون وتزرع الأحقاد والأحزان فيه.

لكن تمهل ولا تتخذع بجمال الربيع، وسماءه الصاحية واشراقه ضوء الصباح، ففي الأفق الرحب ذي الصباح المشرق ظلام مهول، ورجوع ستقف، ورياح ستعصف من طرف هذا الشعب الذي يريد حرته. واحذر فتحت الرماد يوجد لهيب، إذ يريد بهذا أن يحذر المستعمر من أن سكوت هذا الشعب لا يعني استسلام وإنما ثورة محكمة التدبير، وأنه من يزرع الشوك يجني الجراح، ثم يدعو للتأمل وفي التأمل مراجعة للنفس وما قامت به من أعمال، ثم يؤكد عليه بتأكيد قريب وهو أن السيل سيجرفه وأي سيل هذا فهو سيل دماء زهور هذا الوطن الذي اغتصبه.

النموذج الرابع: يقول في قصيدة " للتاريخ " ¹:

((البؤسُ لابنِ الشَّعبِ يأكلُ قلبه *** والمجدُ والاثراءُ للأغرابِ))

((والشَّعبُ مَعْصُوبُ الجفونِ، مَقَسَّمٌ *** كالشَّاةِ، بين الذَّئبِ والقَصَّابِ))

((والحقُّ مَقْطُوعُ اللِّسانِ مُكَبَّلٌ *** والظُّلمُ يمرحُ مُذَهَبَ الجِلابِ))

((هَذَا قَلِيلٌ مِنْ حَيَاةٍ مُرَّةٍ *** فِي دَوْلَةِ الْأَنْصَابِ وَالْأَلْقَابِ))

فهو هنا يشير إلى الحياة الصعبة التي يعيشها هو وشعبه تحت وطأة الاستعمار وكيف هم مقسمين مقطوعي اللسان، في يحي هذا الغريب حياة رغيدة وألبستهم مطرزة بالذهب في هذه الدولة.

¹ أغاني الحياة، أبو القاسم الشابي، ص156.

5- الطبيعة كمظهر للتشاؤم

الطبيعة منذ الأزل وهي تمثل مرتعا للأمال كما أنها تمثل مرتعا للآلام، وابن تونس نجده متأثرا بها بجمالها وبشقائها وهذا الأخير ما يعيننا هنا، مجسداً في قصائده التالية:

النموذج الأول: يقول في قصيدة " المساء الحزين"¹:

أظَلَّ الوُجُودَ المَسَاءِ الحَزِينِ، وَفِي كَفِّهِ مِعْرَافٌ لا يُبِينُ
وَفِي ثَغْرِهِ بَسَمَاتُ الشُّجُونِ، وَفِي طَرْفِهِ حَسْرَاتُ السَّنِينِ
وَفِي صَدْرِهِ لَوْعَةٌ لا تَقْرُ، وَفِي قَلْبِهِ صَعَقَاتُ المُنُونِ
وَقَبْلَهُ فُجْلاً صَامِتَاتٍ، كَمَا يَلْتُمُ المَوْتَ وَرَدَ العُصُونِ
وَعَلَّمَهُ كَيْفَ تَأْسَى النُّفُوسُ، وَيَقْضِي يَوْسًا لَدَيْهَا الحَنِينِ
وَأَسْمَعُهُ صَرَخَاتِ القُلُوبِ، وَأَنْهَلَهُ مِنْ سُلَافِ الشُّؤُونِ

فهو هنا يصور لنا المساء الحزين وموسيقاه التي لا تكاد تظهر، وفي فمه شجون وحسرات، وفي صدره لوعة، وفي قلبه صعقات، ويُقبلُ المساء مقبلاً للوجود لكن هذه القبل صامته لا حياة فيها، وكأنها قبلة الموت للورود، وسبب هذا أن المساء أراد أن يعلم الوجود كيف تأسى النفوس ويموت فيها الحنين، ويسمعه صرخات القلوب الحزينة، ويسقيه من خمر الدموع.

إضافة إلى تشاؤم الشابى من المساء نجده أيضا يتشاءم من الظلام والليل وربما يعود هذا التشاؤم لكونه من الرومانسيين الذين يعتبرون الظلام والليل رمزا للبؤس والحزن، وكذلك لكونه مريض ويخاف من أن يخنقه الليل.

¹أغاني الحياة، أبو القاسم الشابى، ص64.

النموذج الثاني: حيث يقول في قصيدته " فِي الظَّلامِ"¹:

رَفَرَفَتْ فِي دُجِيَّةِ اللَّيْلِ الْحَزِينِ *** زُمْرَةُ الْأَحْلَامِ
فَوْقَ سِرْبٍ مِنْ عَمَامَاتِ الشُّجُونِ *** مَلُؤَهَا الْأَلَامِ

شَخَّصَتْ، لَمَّا رَأَتْ، عَيْنُ النُّجُومِ *** بَعْنَةَ الْعُشَّاقِ
وَرَمَتْهَا مِنْ سَمَاهَا بِرُجُومٍ *** تَسْكُبُ الْأَحْرَاقِ

كُنْتُ إِذْ ذَاكَ عَلَى تَوْبِ السُّكُونِ *** أَنْثُرُ الْأَحْزَانَ
وَالْهَوَى يَسْكُبُ أَصْدَاءَ الْمُنُونِ *** فِي فُؤَادٍ فَانَ
سَاكِتًا مِثْلَ جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ *** رَاكِدَ الْأَلْحَانَ
هَائِمٌ قَلْبِي بِأَعْمَاقِ الْحَيَاةِ *** تَائِهٌ، حَيْرَانَ

الشاعر يصف ظلمة الليل الدامسة التي تخيم على حياته البائسة، وأنه يرفرف فوق الغيوم الحزينة المملوءة ألم، وبصره شاخص في النجوم في سكون وحزن، والهوى يسكب الألم في قلبه الفاني في صمت مثل جميع الكائنات التي يرخي عليها الموت سدوله.

النموذج الثالث: يقول في قصيدة " أَيُّهَا اللَّيْلُ " التي يناجي فيها ظلام الليل²:

أَيُّهَا اللَّيْلُ! يَا أَبَا الْبُؤْسِ وَالْهَوَى *** ل، يَا هَيْكَلَ الْحَيَاةِ الرَّهِيْبِ!
فِيكَ تَجَبُّو عِرَائِسُ الْأَمَلِ الْعَذِّ *** ب، تُصَلِّي بِصَوْتِهِ الْمَحْبُوبِ
أَنْتَ يَا لَيْلَ! ذُرَّةٌ صَعَدَتْ لِلْكَوْنِ، *** من مَوْطِيءِ الْجَحِيمِ الْعَضُوبِ
فَلَاكَ اللهُ! مِنْ فُؤَادِ رَحِيمٍ *** ولك اللهُ مِنْ فُؤَادِ، كَنِيْبِ

¹أغاني الحياة، أبو القاسم الشابي، ص15.

²أغاني الحياة، أبو القاسم الشابي، ص49_50_51.

- يَهْجَعُ الْكَوْنُ، فِي طَمَأْنِينَةِ الْعُصْدِ *** فُورٍ، طِفْلاً بِصَدْرِكَ الْغَرِيبِ
قَدْ سَأَلْتُ الْحَيَاةَ عَنِ نِعْمَةِ الْفَجْرِ *** رٍ، وَعَنْ وَجْمَةِ الْمَسَاءِ الْقَطُوبِ
فَسَمِعْتُ الْحَيَاةَ فِي هَيْكَلِ الْأَحْزَانِ *** نٍ، تَشْدُو بِلَحْنِهَا الْمَحْبُوبِ:
مَا سَكُوتُ السَّمَاءِ إِلَّا وُجُومٌ *** مَا نَشِيدُ الصَّبَاحِ غَيْرُ نَحِيبِ
لَيْسَ فِي الدَّهْرِ طَائِرٌ يَتَغَنَّى *** فِي ضَفَافِ الْحَيَاةِ غَيْرَ كَثِيبِ
خَضَبَ الْاِكْتِتَابِ أَجْنَحَةَ الْأَيَّامِ *** مٍ، بِالْدَمْعِ، وَالِدَمِّ الْمَسْكُوبِ
وَعَجِيبٌ أَنْ يَفْرَحَ النَّاسُ فِي *** كَهْفِ اللَّيَالِي، بِحُزْنِهَا الْمَشْبُوبِ!

الشابي في هذه القصيدة يناجي الليل ويرى بأنه أبا للبؤس والهول، وفي الوقت نفسه يراه هيكلًا تصلي فيه عرائس الأمل العذب جالسة على ركبتيها، كما يراه ذرة سعدت للكون من الجحيم، ثم يعجب له من قلب رحيم ومن قلب حزين ينام الكون على صدرك كالطفل. وبعد هذا يسأل الحياة عن المساء العابس التجهم، فتجيب الحياة: أن سكوت السماء ما هو إلا عبوس وقنوط، ولم يعد نشيد الصباح إلا نحيب وبكاء، ولا طير فيها إلا وكان كثيبًا حزينًا، وأن الدمع والدم قد صبغا الأيام اكتئابًا ويستغرب من فرح الناس بحزن الليالي المشتعل.

6- تفضيل الموت على الحياة:

لقد كانت رغبة الشابي في الموت تفوق رغبته في الحياة، وهذا بسبب المشاكل التي أثقلت كاهله فلم يعد قادرًا على تحمله. ومن بين قصائده التي تعبر عن رغبته هذه ما يلي:



النموذج الأول: قصيدة " السامة " التي يقول فيها¹:

سَمِئْتُ الْحَيَاةَ وَمَا فِي الْحَيَاةِ *** وَمَا إِنْ تَجَاوَزْتُ فَجَرَ الشَّبَابِ
سَمِئْتُ اللَّيَالِي، وَأَوْجَاعَهَا *** وَمَا شَعَّعَتْ مِنْ رَحِيقِ بَصَابِ
فَحَطَّمْتُ كَأْسِي، وَأَلْقَيْتُهَا *** بِيَوَادِي الْأَسَى وَجَحِيمِ الْعَذَابِ
فَأَنْتِ، وَقَدْ غَمَرْتَهَا الدُّمُوعُ *** وَقَرَّتِ، وَقَدْ فَاضَ مِنْهَا الْحَبَابِ
وَأَلْقَى عَلَيْهَا الْأَسَى نُوبَهُ *** وَأَقْبَرَهَا الصَّمْتُ وَالْإِكْتِنَابِ
فَأَيْنَ الْأَمَانِي وَالْحَانُهَا؟ *** وَأَيْنَ الْكُؤُوسُ؟ وَأَيْنَ الشَّرَابِ
لَقَدْ سَحَقْتُهَا أَكْفَ الظَّلَامِ *** وَقَدْ رَشَقْتُهَا شِفَاهُ السَّرَابِ

ملّ الشاعر الحياة وكرهها رغم علمه بأنه لم يتجاوز فجر الشباب، فسئم الليالي وأوجاعها وما تجيد به من شراب مر المذاق فحطم كأسه ورمأها بالجحيم، فتألمت ودمعت حتى فاضت منها الفقاقيع، ودفنها السكوت، ثم يسأل أين ذهبت الأمنيات وأغانيتها والكؤوس وشرابها، ليجيب بأن أكف الظلام سحقتها وشربتها ولم تترك منها شيء.

¹أغاني الحياة، أبو القاسم الشابي، ص43.

النموذج الثاني: يقول في قصيدة " شكوى ضائعة"¹:

يا ليل! ما تصنعُ النَّفْسُ التي سَكَتَتْ *** هذا الوجودَ، ومِنْ أعدائها القَدْرُ؟

ترضى وتَسْكُتُ؟ هذا غيرُ مُحْتَمَلٍ! *** إذاً، فهل تَرَفُضُ الدُّنْيَا، وتنتحِرُ؟

فإنَّما الموتُ ضربٌ من حباله *** لا يُفَلِتُ الخلقُ ما عاشوا، فما النَّظَرُ؟

هذا هو اللُّغْزُ، عَمَاهُ وَعَقَدَهُ *** على الخليقةِ، وحُشٌّ، فاتكُ حَزِرُ

قد كَبَّلَ القَدْرُ الضَّارِي فَرَأَيْسَهُ *** فما استطاعُوا له دَفْعًا، وما حَزَرُوا

لا الموتُ يُنْقِذُهُمْ من هولِ صَوْلَتِهِ *** ولا الحياةُ تَسَاوِي النَّاسُ والحَجَرُ!

قد أيقنوا أَنَّهُ لا شيءَ يُنْقِذُهُمْ *** فاستسلموا لِسُكونِ الرُّعبِ، وانتظروا..

يناجي الشابي هنا ويتساءل ما تفعل نفسه وقد عادها القدر، فهي لا تحتل أن ترضى وتسكت، وإنما أن تترك الدنيا وترحل، لأن الموت حبل من حبال هذا الوجود لا يفلتون منه مهما عاشوا ولا يستطيعون تخمينه متى يأتيهم، لكنهم قد تأكدوا بأن لا شيء ينفذهم منه فاستسلموا وانتظروا.

¹أغاني الحياة، أبو القاسم الشابي، ص189.

النموذج الثالث: يقول في قصيدة " إلى قلبي التائه"¹:

مَا لَأَفَاقِكَ يَا قَلْبِي سُوْدًا، حَالِكَاتُ؟

وَلَأَوْرَادِكَ بَيْنَ الشَّوْكِ صُفْرًا، ذَاوِيَاتُ؟

هُوَ ذَا يَا قَلْبِي الْبَحْرُ، وَأَمْوَاجُ الْحَيَاةِ!

هُوَ ذَا الْقَارِبُ مَشْدُودًا إِلَى تِلْكَ الصَّفَاةِ!

هُوَ ذَا الشَّاطِئُ! لَكِنْ أَيْنَ رُبَانِكَ! مَاتُ؟

أَنْتَ يَا قَلْبِي قَلْبٌ، أَنْضَجْتُهُ الزَّفْرَاتُ

صَلِّ يَا قَلْبِي إِلَى اللَّهِ، فَإِنَّ الْمَوْتَ آتُ

يرى الشاعر أن آفاقه سوداء حالكة ووروده صفراء ذابلة، ويعطل قلبه بأن هذه هي الحياة، ويرى قاربه مشدود إلى صخرة النهاية، لذا يدعو قلبه بأن يصلي لله لأن الموت آت لا هروب منه.

النموذج الرابع: يقول في قصيدة " حديث المقبرة " التي نظمها عندما خرج ذات ليلة إلى

مدافن القرية، حيث القبور تتحدث بجلال الموت وتفاهة الحياة²:

كَبِيرٌ عَلَى النَّفْسِ هَذَا الْعَفَاءُ! *** وَصَعْبٌ عَلَى الْقَلْبِ هَذَا الْهَمُودُ!

وَمَاذَا عَلَى الْقَدْرِ الْمَسْتَمِرِّ *** لَوْ اسْتَمَرَ النَّاسُ طَعْمَ الْخُلُودِ

وَلَمْ يُخْفَرُوا بِالْخَرَابِ الْمَحِيطِ *** وَلَمْ يُفْجَعُوا فِي الْحَبِيبِ الْوَدُودِ

وَلَمْ يَسْلُكُوا لِلْخُلُودِ الْمَرْجَى *** سَبِيلَ الرَّدَى، وَظِلَامَ الْلُحُودِ

وَلَكِنْ هُوَ الْقَدْرُ الْمَسْتَبِدُّ *** يَلْدُ لَهُ نَوْحُنَا، كَالنَّشِيدِ!

¹أغاني الحياة، أبو القاسم الشابي، ص 93_94.

²المصدر نفسه، ص 137-138-139.

يرى الشابي بأن السكون والهمود في هذه المقابر صعب على القلب، وبعدها يتساءل لو أن الناس لم يفجعوا بموت الحبيب الودود وظلام اللحد، ثم يستدرك قائلاً: أن القدر لا مفر منه ولا بد للناس من أغنية النواح.

النموذج الخامس: يقول في قصيدة " إلى الموت " بعد أن شعر باليأس من حياته وفضل الموت¹:

إِلَى الْمَوْتِ! فَالْمَوْتُ رُوحٌ جَمِيلٌ، يُرْفَرُ مِنْ فَوْقِ تِلْكَ الْغُيُومِ
فَرُوحًا بِفَجْرِ الْخُلُودِ الْبَهِيحِ، وَمَا حَوْلَهُ مِنْ بَنَاتِ النُّجُومِ...
إِلَى الْمَوْتِ! فَالْمَوْتُ جَامٌ رَوِيٌّ لِمَنْ أَظْمَأَتْهُ سَمُومُ الْفَلَاةِ
إِلَى الْمَوْتِ! فَالْمَوْتُ مَهْدٌ وَثِيْرٌ، تَتَّامُ بِأَحْضَانِهِ الْكَائِنَاتِ
إِلَى الْمَوْتِ! إِنَّ حَاصِرَتَكَ الْخُطُوبِ، وَسَدَّتْ عَلَيْكَ سَبِيلَ السَّلَامِ
إِلَى الْمَوْتِ! لَا تَخْشَى أَعْمَاقَهُ فَفِيهَا ضِيَاءُ السَّمَاءِ الْوَدِيعِ
تُضِيءُ بِهِ بَسَمَاتُ الْقُلُوبِ، وَتَخْبُو بِهِ حَسَرَاتُ الدَّمُوعِ
يَضُمُّ الْقُلُوبَ صَدْرَهُ، لِيَأْسُوَ مَا مَضَّهَا مِنْ جُرُوحِ

التزم الشاعر بموضوع الموت بعد أن مل من الحياة ولم يعد يرى منها فائدة، لهذا استسلم للموت لأنه وجد فيه الراحة لنفسه المعذبة، إذ؛ يرى أنه المنبع الذي يرتوي منه كل من اضمأته الحياة، ومهد تنام فيه الكائنات، ويدعو الناس لأن لا يخشوا أعماقه فنور السماء يضيء عليها، ففيه تخبو حسرات الدموع وتداوى جراح القلوب.

¹أغاني الحياة، أبو القاسم الشابي، ص 79-80.

خاتمة

الخاتمة

حط البحث رحاله بعد أن وصل إلى غايته من هذه الرحلة التي أتت لتكشف عن ثنائية التناول والتشاؤم في ديوان أغاني الحياة لأبي القاسم الشابي.

ومن خلال تتبعنا لمجريات هذا البحث، توصلنا إلى بعض النتائج نجملها في ما يلي:

1- الشابي أحد أبرز أعلام الرومانسية العربية التي تمثلت في أبداع صورها وأجمل مظاهرها من خلال سيرته وشاعريته وحياته وأدبه، فتشبع بجميع مبادئ الرومانسية؛ كالخروج عن مألوف العصور القديمة، والنقمة على الأوضاع الفاسدة، وامتيازه بالذاتية الخاصة واستغراقه فيها، والتعبير عما يجري في جوانحه في صراع عاطفي عنيف.

2_ الشابي واحد من أولئك الذين عاشوا الحياة بطوها ومرها، حيث نجد أن ديوانه "أغاني الحياة" خاصة وجل مؤلفاته عامة قد عكست صورة الحياة التي عاشها، بالرغم من الحياة الحزينة والمتشائمة التي عاشها.

3- إن معاناة الشابي الوجدانية لاحد لها؛ فقد عانى الحرمان والألم والمرض، ولم يجد من سبيل إلى تحقيق أحلامه وشكوى آلامه إلا اللجوء إلى الشعر، كونه السلاح الوحيد الذي يتقنه كشاعر.

4- إن التجارب التي عاشها الشابي في صباه إلى وفاته جعلت قصائده تتلون بألوان الحزن والأسى تارة، وأخرى بألوان الطبيعة المتفائلة فتميز شعره بالنزعة التفاؤلية والتشاؤمية، وخدم القيم والمثل العليا للإنسانية التي كانت هاجسه في الحياة، وسجل أروع الذكريات والخلود في تاريخ الأدب بهذه النزعة.



الخاتمة

وأخيراً نشكر الله الذي وفقنا إلى إتمام هذا العمل، فله وحده الشكر والحمد، كما نوجه شكرنا وامتناننا الخالص لأستاذنا الفاضل الدكتور: **واسيني بن عبد الله**، لما قدّمه لنا من إرشادات ومساعدة خلال بحثنا هذا. والحمد لله رب العالمين.



قائمة

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر

أغاني الحياة، أبو القاسم الشابي، دار صالح تلاتيقيت للتوزيع والنشر، بجاية،
2003.

ثانياً: المراجع

1. أبو القاسم الشابي شاعر الحياة والخلود، هاني الخير، ط1، دار فليّيس للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
2. أبو القاسم الشابي كوكب السحر، عبد المجيد الحر، ط1، دار الكتب العربية، بيروت، 1995.
3. الإتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، سلمى الخضراء الجيوسي، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007.
4. الأدب العربي الحديث، محمد عبد المنعم خفاجي، ج2، ط2، دار الجيل، بيروت، 1992.
5. الأدب المقارن بين النظرية والتطبيق، إبراهيم عبد الرحمن، ط1، الشركة المصرية للنشر لونجمان، مصر، 2000.
6. أعلام ورواد في الأدب العربي، كاظم حطيّط، ج2، ط1، مكتبة الدار العربية للكتاب، 2003.
7. تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج2، ط1، دار المغرب الإسلامي، الجزائر، 1830-1954.
8. التعريف بالأدب التونسي، رضوان إبراهيم، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1977.



9. التفاؤل والتشاؤم المفهوم والقياس والمتعلقات، بدر محمد الأنصاري، ط1، لجنة التأليف والتعريب والنشر، الكويت، 1998.
10. تفسير الطبري ؛ جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
11. الخيال الشعري عند العرب، أبو القاسم الشابي، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، 2013.
12. الدراما ومذاهب الأدب، فايز ترجيني، ط1، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، لبنان، 1988.
13. روائع جبران خليل جبران، ثورت عكاشة، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1990.
14. الرومانتيكية، محمد غنيمي هلال، دار الثقافة، بيروت، 1973.
15. الرومانسية بين الأدب الغربي والعربي، إيليا الحاوي، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1998.
16. سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية. فيصل عيسى البابي الحلبي.
17. الشابي حياته شعره، أبو القاسم محمد كرو، ط1، منشورات المكتبة العلمية، بيروت، 1952.
18. الشعر الحديث في المغرب العربي، يوسف ناوري، ج1، دار توبقال للنشر، المغرب، (د.ت).
19. الشعر العربي الحديث، محمد بنيس، ج2، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1990.
20. الطبعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، أحمد عوين، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2001.



21. علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام، محمد محمود، دار الشروق، جدة، (د.ت).
 22. في الأدب الحديث، عمر الدسوقي، ج2، دار الفكر، القاهرة، (د.ت).
 23. في تاريخ الأدب العربي الحديث، محمد أحمد ربيع، ط2، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 2006.
 24. المدخل إلى علم النفس، عبد الله عبد الحي موسى، ط3، حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف، 1988.
 25. المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا، فليب فان تيغم، ط3، منشورات عويدات، بيروت، 1983.
 26. المذاهب الأدبية، محفوظ كحوال، نوميديا للطباعة، المغرب، 2007.
 27. مسار الشعر العربي الحديث والمعاصر، عباس بن يحيى، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2004.
 28. مسند الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، 2001.
 29. قضايا معاصرة في الأدب والنقد، محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت).
- ثالثاً: الموسوعات والمعاجم والقواميس:**
30. أساس البلاغة، الزمخشري، حققه وقدم له: شوقي الحصري، عزيز نعيم، ط1، مكتبة لبنان، (د.ت).
 31. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).
 32. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ج6، سلسلة المعاجم والفهارس، (د.ت).

33. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهيبة، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984.
34. موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين، ج1، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2001.
35. موسوعة شعراء العرب، محمد بوزواوي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
36. موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، تعريب: خليل أحمد خليل، المجلد الأول، ط2، منشورات عويدات، بيروت، 2001.

رابعاً: الدواوين:

37. ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، مجيد طراد، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994.
38. ديوان إيليا أبو ماضي، تصدير: سامي الدهان، دار العودة، بيروت، (د.ت).
39. ديوان عبد الرحمان شكري، عبد الرحمان شكري، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2012.
40. ديوان فوزي المعلوف، فوزي المعلوف، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2013.
41. ديوان نازك الملائكة، نازك الملائكة، دار العودة، بيروت، 1988 .
42. المجموعة الكاملة العربية، جبران خليل جبران، ط1، دار صادر، بيروت، 2002.

خامساً: الرسائل والمذكرات

43. أبو القاسم الشابي وغازي القصيبي "دراسة فنية نقدية موازنة"، هيفاء بنت رشيد عطا الله الجهني، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، 1427هـ-2006م.



فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
	شكر وعرفان
أ-د	مقدمة
المدخل: الرومانسية في الأدب التونسي وأثرها عند الشابي	
07	المبحث الأول: الرومانسية وملاحمها
07	المطلب الأول: مفهومها
08	المطلب الثاني: ملاحمها
11	المبحث الثاني: الأدب التونسي
11	المطلب الأول: أصوله
12	المطلب الثاني: أعلامه
14	المبحث الثالث: الشابي وديوانه
14	المطلب الأول: ترجمة الشابي
17	المطلب الثاني: ديوانه
الفصل الأول: التفاؤل والتشاؤم في الأدب العربي	
19	المبحث الأول: مفهوم التفاؤل والتشاؤم
19	المطلب الأول: التعريف اللغوي
22	المطلب الثاني: التعريف الفلسفي
24	المطلب الثالث: التعريف النفسي
26	المبحث الثاني: عوامل التفاؤل والتشاؤم
26	المطلب الأول: عوامل أولية
30	المطلب الثاني: عوامل ثانوية
31	المبحث الثالث: مظاهر التفاؤل والتشاؤم
32	المطلب الأول: مظاهر التفاؤل
38	المطلب الثاني: مظاهر التشاؤم
الفصل الثاني: مظاهر التفاؤل والتشاؤم في ديوان أغاني الحياة للشابي	
46	المبحث الأول: مظاهر التفاؤل في الديوان
46	1. الحياة
52	2. الحب



فهرس الموضوعات

54	3. الطبيعة
57	4. الوطنية
59	5. المرأة
61	المبحث الثاني: مظاهر التشاؤم في الديوان
61	1. الصدمة العاطفية
65	2. مكابدة المرض
67	3. فقدان والده
69	4. كفاح المستعمر
72	5. الطبيعة كمظهر للتشاؤم
74	6. تفضيل الموت على الحياة
80	الخاتمة
83	قائمة المصادر والمراجع
88	فهرس الموضوعات





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



ملخص الرسالة:

يهدف البحث إلى دراسة ظاهرتي التفاؤل والتشاؤم في ديوان أغاني الحياة لأبي القاسم الشابي وتحليلها من منظور الأدب كما يحاول التماس الصواب وإزالة الغموض الذي اعتراه من بعض الدراسات، والتي ترى أن الحياة عنده سوداوية فقط أو أنها ذات صبغة تشاؤمية، والحقيقة أنه من الصعب أن نصدر حكماً مثل هذا وديوانه الكبير الخالد "أغاني الحياة" خير دليل على تنوع أغراضه؛ فهو شاعر خيالي مثقف، رومانسي عاطفة.

الكلمات المفتاحية:

التفاؤل، التشاؤم، الشابي، الشعر.

Résumé :

La recherche vise à l'étude des phénomènes de l'optimisme et du pessimisme dans le recueil des « **Chansons de la vie** » de **Abi El Kacem Echabi** et son analyse du point de vue littéraire, essayant également d'atteindre le juste et l'éradication de l'ambigu qui l'a pris à de quelques études qui voient que la vie pour lui, est seulement noirceur ou ayant un aspect pessimiste ; la vérité est qu'il est difficile de rendre un jugement comme celui-ci et son grand recueil éternel « Chansons de la vie », meilleure preuve de la diversité de ses intentions ; c'est un poète fantaisiste cultivé, à passion romantique .

Mots clés :

L'optimisme, le pessimisme, Echabi, la poésie